ملامح التيار الوجداني
في شعر منيرة توفيق

" دراسة تحليلية "

الدكتور محمد علي سعد
أستاذ الأدب والنقد المساعد
جامعة الأزهر
٢٠٠٩م

نماذج من شعرها

الشعر سر الكون يطرب جرسه روح السنين ومسمع الأيام
أرقى به صرح النجوم وأعتلي أوج العلاء ندية الأقلام
هو للأديبة حلية فتانة وأراه فوق الصدر خير وسام

"منيرة توفيق"

في نشوة الحب والأخطار محدقة معنى الهناء وليل الحب يشقيني
يا عاذلي في الهوى كم جئت تعذلني دعني وحبي ففيه الذل يرضيني

"منيرة توفيق"

هذا الربيع تفتحت أزهاره وتساجلت فوق الربى أطياره
ملأ الوجود بهاؤه وتألقت أضواؤه وترنمت أشعاره

"منيرة توفيق"

وكأنني الخنساء حين رثائها ولها على "صخر" أسى وأنين
أبكيك يا نعم الشقيق بحرقة حتى يلوح من الخلود يقين

"منيرة توفيق"

ما كانت الحرة الخنساء مشبهتي إلا بفقد أخيها الماجد الشان

كلا المصابين يا خنساء ريش له سهم القضاء وهذا صخري الثاني

"منيرة توفيق"

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد النبي الأمين، وعلى آله و أصحابه أجمعين. ..... وبعد

فقد احتلت المرأة مكانة كبيرة في العصر الحديث بجانب الرجل، وشاركته في كثير من الأعمال، بعد أن كان يحظر عليها المجتمع ذلك، وما كان هذا إلا ثمرة ونتاجا طبيعيا لدعوة " قاسم أمين" الذي دعا إلى تحرير المرأة وخروجها إلى العمل، ومشاركة الرجل في كل أعماله.

ومن الطبيعي أن تؤثر مثل هذه الأوضاع على الناحية الأدبية، فقد شهدت الساحة الأدبية كثيرا من الشاعرات في المجتمع المصري، وفي غيره من الأقطار العربية، شاركن بأشعارهن في مختلف المناسبات والظروف، وعبرن عن عواطفهن وأحاسيسهن ومشاعرهن، بطريقة لم تكن تعرف من قبل، وبخاصة في بداية العصر الحديث، و كان من هؤلاء الشاعرات وعلى رأسهن " عائشة التيمورية " صاحبة ديوان " حلية الطراز " والمتوفاة سنة ١٩٠٢ م، والتي يرجع الفضل إليها في إحياء وبعث حركة الشعر العربي النسوي في العصر الحديث، وإذا كان "البارودي" (١٨٣٨ – ١٩٠٤م) رائد وباعث الشعر من أبناء جنسه،

فإن التيمورية (١٨٤٠-١٩٠٢ م)هي رائدة وباعثة الشعر من بنات جنسها، فاستحقا أن يكونا رائدي الشعر الحديث كل في جنسه.

وتنمو الحياة الأدبية وتزدهر في مطالع القرن العشرين، وتفرز شاعرات، كان لهن الفضل في نمو الأدب النسائي واحتفاله بكثير من التجارب الفنية، التي كانت ثمرة طبعية لتلك الحياة الأدبية المزدهرة، من أمثال: جميلة العلا يلي وروحية القليني وملك عبد العزيز، من مصر، وفدوى طوقان، من فلسطين، ونازك الملائكة من العراق، وكلهن أسهمن بقدر كبير في ازدهار وتطور التيار الوجداني في الشعر النسائي، وذلك بفضل دعاة التجديد في الشعر، من أمثال: مطران وجماعة الديوان وشعراء المهجر وجماعة أبوللو، والذين كان من صميم دعوتهم أن يكون الشعر تعبيرا عن الوجدان.

وكان من بين تلك الثمرات شاعرة تعد رائدة في الشعر النسائي، ومميزة في التيار الوجداني، هي الشاعرة " منيرة توفيق " (١٨٩٣ – ١٩٦٥ م)، والتي عثرت على ديوانها، في الإسكندرية فقرأته كاملا، فراقني شعرها لما وجدت فيه من تجارب متعددة ومتنوعة، وشاقني – كذلك – أسلوبها الرائع وكلماتها العذبة الرقيقة، فعزمت على الكتابة عنها وعن ديوانها، وما فيه من أغراض وموضوعات، لكنني فوجئت وأنا أتملى تلك الموضوعات أن التيار الوجداني العاطفي يستحوذ على قدر كبير من الديوان، بل يطغى على كل الموضوعات الأخرى، والتي تعد هي الأخرى كثيرة ومتنوعة، لكنها لم تصل إلى قدر وحجم هذا التيار، فحولت وجهتي إلى دراسة هذا التيار فقط، فكان هذا البحث " ملامح التيار الوجداني في شعر منيرة توفيق "، ليتناول ملامح ومحاور هذا التيار بالدراسة والتحليل، وكان اختياري هذا لأسباب من أهمها:

أولا: أن وقتي لم يسمح بدراسة الديوان كاملا، ومن ثم فلن أستطيع أن أوفي الشاعرة حقها بخاصة والديوان يعج بكثير من التجارب، ولكي لا أغلق الباب أمام

من يريد دراسة شعر الشاعرة، وخاصة وأن أحدا لم يكتب عنها شيئا، فأردت بهذه الدراسة أن تكون مفتاحا لدراسات أخرى حول شعرها وأدواتها الفنية.

ثانيا: أن غلبة التيار الوجداني في شعرها يعد أمرا طريفا ولافتا للنظر، من حيث هي امرأة استطاعت أن تعبر عن مكنون نفسها، وعن تجاربها الخاصة في حياتها، كما استطاعت –كذلك– أن تفصح عن عواطفها ونبضات قلبها، وأشواق روحها في صراحة وعفة، كل ذلك شجعني على دراسة هذا الاتجاه.

ثالثا: رميت من وراء اختيار هذا الموضوع أن أكشف اللثام عن كيفية معالجة الشاعرة لتجاربها الوجدانية، ومدى قدرتها على تصويرها، وتمكنها من التأثير بها على الآخرين وإمتاعهم بها، وهذه أسمى غايات الشعر. وقد اقتضت خطة البحث أن تكون على النحو التالي:

. مقدمة وفيها بيان بالموضوع وأسباب اختياره.

. المبحث الأول: وقد اشتمل على عدة نقاط:

الأولى: استهلال، وفيه ألقيت الضوء على مكانة الشاعرات في العصر الحديث، وكذا على الشعر الوجداني عندهن ٠

الثانية: نشأة الشاعرة وظروف حياتها.

الثالثة: شاعريتها، وتناولت فيها ملامح شاعريتها، وأهم موضوعاتها وذكرت فيها بعضا من أقوال الشعراء والأدباء فيها.

. المبحث الثاني: محاور الاتجاه الوجداني في شعر منيرة توفيق، وقد اشتمل على ثلاثة محاور :

المحور الأول : عاطفة الحب ، المحور الثاني: الطبيعة، المحور الثالث: الشكوى

وقد اشتمل المحور الثالث على عدة ملامح ظهرت من خلالها مضامين الشكوى التي وردت على لسان الشاعرة ، وهي:

أولا : الشكوى من فراق الأحبة.

ثانيا: الشكوى من صروف الدهر.

ثالثا: الشكوى من الصد والهجر .

رابعا: الشكوى من المرض.

ثم جاءت . بعد ذلك . الخاتمة متضمنة أهم النتائج التي تمخض عنها البحث. ثم أردفتها بقائمة المراجع . ثم فهرس الموضوعات.

وبعد، .....فأرجو من الله أن أكون قد وفقت في تقديم عمل . أحسبه جديدا . إلى حقل الدراسات الأدبية، ليزيح الستار عن هذه الشاعرة.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

المؤلف
د/ محمد علي سعد
أستاذ مساعد بقسم الأدب والنقد
جامعة الأزهر.

المبحث الأول:

من منيرة توفيق..؟

١- استهلال:

حازت الشواعر في العصر الحديث مكانة كبيرة في مجال الشعر، وكن جنبا إلى جنب مع الشعراء الكبار في ذلك العصر، وعلى الرغم من بعض التقاليدالتى كانت تمنع المرأة الشاعرة من إظهار عواطفها وأحاسيسها، الذاتية أو الوجدانية منها فقد استطاعت المرأة أن تتغلب على تلك العادات البالية، فبرزت شواعر أَجدْنَ القول في كل الموضوعات من غزل وحب وسياسة ووطنيه إلي غير ذلك من الموضوعات الذاتية والموضوعية.

وكان علي رأس هؤلاء الشواعر، الشاعرة: "عائشة عصمت تيمور" المتوفاة سنة ١٩٠٢م والتي مثلت بداية التحرر من العادات والتقاليد المفروضة علي المرأة "الشاعرة" آنذاك، فكانت كما يقول الدكتور " محمد مندور" رائدة شعر الوجدان النسائي المعاصر [١]

ومن الشاعرات أيضا الشاعرة "جميلة العلا يلي" والتي لم تستطع أن تنطلق الانطلاقة الكاملة في التعبير عن وجدانها وعاطفتها من جراء التقاليد التي كانت تغلها في المجتمع والأسرة، إلا أنها أثبتت وجودها كشاعرة قوية مجيدة، هذا بالإضافة إلى شاعرات أخريات أمثال: "جليلة رضا " و"روحية القليني " و"ملك عبد العزيز "، وكلهن شاعرات تطورن مع تطور الحياة في المجتمع آنذاك، وأنتجن أشعارا عذبة رقيقة.

---

(١) انظر، الشعر المصري بعد شوقي،الدكتور "محمد مندور" الحلقة الثالثة، دار نهضة مصر ص١٤٨.

ولم يكن الأمر مقصورا على المجتمع المصري فحسب، فقد ظهرت شواعر في الأقطار العربية شغلن الساحة الأدبية والنقدية بأشعارهن، أمثال:"فدوى طوقان " و "نازك الملائكة".

وكان من بين هولاء الشاعرات الشاعرة " منيرة توفيق "، المولودة سنة ١٨٩٣م، والتي قال عنها الشاعر الأديب "عبد الغني سلامة ":"هي حاملة لواء الشعر النسائي الجميل لم ننقص شاعرة من شواعر العرب قدرها، ولم نقض بحق لغير أهله في ميزان الحكم الحكيم ".

ومن خلال قراءة أشعارها يمكن القول بأنها أبرز مثال للإحساس بالجمال وإشراق الفكر في العصر الحديث ؛ ذلك أنها شغلت أذهان قادة الفكر في سائر الأقطار العربية بأحداث حياتها وتيارات واتجاهات أشعارها، وذلك في فترة من القرن العشرين.

ففي مستهل عام ١٩٣٦م، نشرت قصيدة بعنوان (إلى زوجي الفاضل) في مجلة الرسالة حازت إعجاب الأدباء في الأقطار العربية، وتساءل الكثير منهم عن كنه صاحبة هذا الشعر، ونالت إعجابا جارفا بغزارتها الفنية وثورتها الشعرية ' وما في أشعارها من بلاغة وسحر بيان، ووجدان صادق، لا يتأتى لغيرها من الشاعرات آنذاك، ولا أدل على ذلك من الأبيات التي

تخاطب فيها زوجها في رفق وأدب ممزوجين بثورة مكبوتة تجري في تضاعيف حكمة عالية ونفحة هادية، والتي تقول فيها: (١)

طـال الســهاد وأرقـــت عيني الكوارث و النوازل
لما جفاني من أحـــــب وراح تشـــــغله الشواغل

(١) ديوان أنوار منيرة، مطبعة المصري بالإسكندرية،ص ٧١.

فطوى صحيفة حـــــبنا وأصاخ ســـــمعا للعواذل
ياأيها الزوج الفخـــــور وأيها الحـــب المواصل
ما لي أراك معـــانـدي ومعذبي في غـــير طائل
هل رمت أن تغدو طليقا لا يحول هـــــواك حائل
أم رمت غيري زوجـــة يا للأسى ممـــــا تحاول
لم ترع حــقًّا للــهوى وهجرتني والهــجر قاتل

وفي سنة ١٩٤٢م، نالت الشاعرة الأديبة "منيرة توفيق " الميدالية الذهبية مع درجة التفوق الأدبي في مهرجان الشعر الذي عقده الشعراء بالقاهرة، تقديرا لما فاض به وجدانها من شعر عذب رقيق كان موضع إعجاب الجميع.

والمتصفح ديوانها يرى فيه تجارب متعددة ومتلونة، كلها تشير وتدل على شاعرة متمكنة من أدوات فنها، متعايشة في باطن تجاربها، مشاركة مجتمعها ووطنها كل أموره وقضاياه، فنرى في الديوان تجارب ذاتية بكل ألوانها من أفراح وأحزان وأشجان، ونجد كذلك تجارب موضوعية عامة تنبض صدقا وحرارة، منها الوطني والسياسي والاجتماعي، إلى غير ذلك مما يخص المجتمع، وسنظهر شيئا من ذلك عند الحديث عن شاعريتها.

لكن الذي يروم لي الآن هو أن شاعرة بهذا الحجم من العطاء الفني وفي تلك الفترة التي كان الشعر محط أنظار الكثير من النقاد والأدباء كيف لا يتناولها أحد من النقاد أو الكتاب، أو حتى بعد هذه الفترة ؟ وبخاصة وقد أفاضت في الشعر الوطني بكل ألوانه ومحاوره، ذلك الشعر الذي تكفي قصيدة واحدة منه لتكون سببا في شهرة صاحبها، فما بالنا بمن كثر في شعرها هذا اللون لكن دون أن يجد عيونا ترى أو أقلاما تكتب.

على أية حال فقد رجع بعض من قدموا لديوانها – وهم من معاصريها – السبب في عدم شهرتها أنها كانت حتى آخر رمق في حياتها زاهدة في تلك الشهرة، راضية بأنها إذا عبرت

عن أي خاطر من خواطرها كان الصدق رائدها وروعة الفن هدفها الأول والأخير، فضلا عن عزة نفسها ورقة إحساسها.

وأحبُّ أن أضيف إلى ذلك سببا آخر وهو أنها كانت تقطن الإسكندرية بعيدة عن القاهرة وأضوائها وعجعجتها وأحداثها مما جعلها بعيدة عن الأنظار، ولم تلق حظها من الشهرة، ولا ندري لعل الأيام تكشف لنا عن شعراء وشو اعر لم يلقوا حظهم من الشهرة والاهتمام.

والآن يجدر بنا في نهاية هذا الاستهلال أن نعود إلى السؤال الذي طرحناه في بدايته وهو:من هي منيرة توفيق ؟ لنحاول الإجابة عنه بقدر ما أوتينا من معلومات عن هذه الشاعرة الكبيرة.

أولا:نشأتها وظروف حياتها:

ولدت "منيرة" في عصر تحكمت فيه القوي الأجنبية، وأحكمت قبضتها علي البلاد، وشددت الوطأة علي نفوس المصريين، وعَدَّتْ نفسها سيدة البلاد، والحاكم المطلق بأمره فيها، بل الإله الذي يتحكم في رقاب الناس، فيحيي من يشاء ويرفع من يشاء، ويخفض من يشاء، بيده الحكم، وعلي إسقاط كل وزارة وطنيه قدير، وفي هذا الجو وبعد الاحتلال الانجليزي بأحد عشر عاما، ولدت ببورسعيد عام ١٨٩٣م، لأبيها "مصطفي توفيق"، الذي كان من كبار رجال الإدارة في مصر، حيث تقلب في المناصب حتى صار حكمدارا للشرقية آنذاك، وقد توفاه الله عام ١٩٣٢م، بعد أن نشأ ابنته نشأة حسنه ورباها تربيه صالحه، فاختار لها من بداية حياتها أمهات الكتب الأدبية ، وشجعها علي حفظ الشعر

العربي القديم، وهيأ لها من عيون الأدب لترتشف منها ما ألآن لسانها، فصار رطبا باللفظ الجميل، فكأنة بهذا كان يستلهم الموهبة في عينيها .[١]

ويبدو أن والدها كان محبا للصيد فصحبها معه في رحلاته في الصحاري والوديان، كما علمها ركوب الخيل، فامتطت الجياد الحسان، ودربها علي الرماية وإطلاق النار فعرفت كيف تصيب الهدف، وأخذت نفسها علي الفروسية، فجمعت بين الشعر الرقيق، والشجاعة والإقدام[٢].

هذا بالإضافة إلي خبرتها التي كونتها منذ صغرها من تنقلها مع والدها من بلد إلي بلد، حيث كانت تنتقل به وظيفته، فكانت تلحق بمدارس البنات في كل مدينة تحل بها، وتكتسب وتزداد معرفة بشعب بلادها وريفه وحضره.

ولم تشر المعلومات التي بين أيدينا إلى أين وصلت في تعليمها، ويبدو أنها لم تكمل دراستها، وبخاصة وأن المعلومات تشير إلي أن والدها زوجها بالسيد "لبيب محمد نوحي " وعمرها أربعة عشر عاما، وإن كنت أستبعد أن تتزوج في هذه السن لأمرين: أولهما: أن والدها كان –كما تشير المعلومات – رجلا علي درجة عالية من الثقافة، فلم يكن ليزوج ابنته في هذه السن الصغيرة.

ثانيهما: أن الكاتب "محمود محمود زيتون " ذكر في مقدمة الديوان ما نصه "أنه في سنة ١٩١٥م أي بعد زواجها بأربعة أعوام " ومعني ذلك أن سنها يكون في ذلك الوقت ثماني عشرة سنة، وهذا غير صحيح، حيث أنها ولدت عام ١٨٩٣م، فلو طرحنا هذا التاريخ من هذا العام الذي ذكره الكاتب سيكون عمرها وقتئذ اثنين وعشرين عاما، وهذا معناه أنها تزوجت وسنها ثماني عشرة سنة وليس أربع عشرة، وبهذا يكون الأمر مقبولا.

---

(١) انظر مجلة أمواج سكندرية، العدد ٣٤،سنة ٢٠٠٨،من مقال بعنوان "منيرة توفيق الشاعرة"،وانظر مقدمة ديوانها ص ٨.

(٢) انظر، مقدمة ديوانها ص٨.

علي أية حال فقد عاشت مع زوجها في عزبته المعروفه باسمه "عزبة لبيب" بقرية أبو صماده التابعة للدلنجات "محافظة البحيرة" وتبلغ مساحتها أربعمائة فدان كانت تدر الخير والبركة، وتبعث الجمال والروعة، وتؤدي مثل هذه الطبيعة إلي صقل الحس، والتحفز إلي التغني بمحاسن الطبيعة الرائعة الوادعة، وكانت ثمرة هذا الزواج أن أنجبت ولدا وبنتا، إلا أن القدر أبي أن تعيش في هذه الحياة الوارفة والعيشة الرضية الهانئة إذ تفجع بموت زوجها علي يد عصابة تربصت به وهو عائد للدلنجات ليلة عيد الأضحى، فأطلقوا عليه النيران فأردوه قتيلا، وشهدت الزوجة مصرع زوجها الذي كان وحيد والديه، ومضى مأسوفا على شبابه، وخلف لها هذين الصغيرين "روحية ومحمد".

وكان طبيعيا أن تترك المكان الذي اختلط بدماء زوجها، وبإصرار من حميها انتقلت إلى الإسكندرية بجواره في قصره الكائن بشارع منشا، وراحت الزوجة المكلومة تجتر الألم الممض، وتنفث أوجاعها وآلامها ولواعجها مع أنفاس قيثارتها الشعرية الحزينة، وكان هذا الحدث سببا في تفجير الكوامن والقدرات الشعرية عندها، حيث سجلت هذه الفاجعة بصورة تدل على صدر ملتهب وقلب نابض بالانفعالات العنيفة فتقول: (١)

قد كنت في غفلة الأيـــام سالية خلوا من الـــهم والألام والفكر
وكان زوجي ضياء الدهر في نظري أبهى من النيرين الشمس والقمر
فما رأت عين إنسان شـــمائله بين الشبيبة من بدو ومن حضر

وبعد أن بينت خصاله وشمائله وقدره ومكانته في قلبها راحت تظهر لوعتها وفجيعتها لفقده فتقول:

(١) ديوانها ص ١٤٨.

ما كنت آمل أن الدهر يفجعني بمن أراه على الأيام مدخري
جنوا عليه وجنح الليل معتكر وشدة الحرص لا تنجي من القدر
رأته زوجته للأرض منكفئا جرت ولم تكترث بالروع والذعر
مدت إليه يديها وهي يائسة من النجاة وضوء الفجر لم يسر
عادت به لحماها وهي صائحة بملء فيها بقلب جد مستعر
في ذمة الله نجم قد هوى حببا بعد السمو بصفو منه منتشر
لهفي على غصنه يذوي لدى سحر والغصن يزهر بالأنداء في السحر
يا صرخة الموت كم قطعت من كبدي ويا نذير الردى غاليت في الخطر
يا أيها القاتل السفاك سوف ترى يوم الحساب عذاب الله في سقر
ويا شهيدا رأت عيناي مصرعه إليك أزكى السلام الطيب العطر
في الخلد نم مطمئنا يا "لبيب" ففي سواد قلبي وفي سمعي وفي بصري

ولا يخفى ما في الأبيات من لوعة وأسى وحرارة عاطفة، فضلا عن هذا الأسلوب المتدفق في سهولة ويسر، ولست مع من يقول إن هذه هي الانطلاقة الشعرية الأولى عندها[1]، ذلك أن القصيدة لا تشير إلي شاعرة بادئة، وإنما تشير إلى شاعرة متمكنة من قرض الشعر، لكن يمكن القول بأن هذا الحدث زاد من طاقتها الشعرية، بل فجر ينابيع الشعر من داخلها، وما من شك في أن مثل هذه التجارب تسهم في صقل الموهبة، وتستدعى القدرات الشعرية الكامنة.

ويمضى ركب الحياة بالشاعرة، وإذا به بعد عامين من هذه الفاجعة يتوقف بها عند نقطة انطلاق أخري في حياتها، فتهيئ لها الأقدار أن تتزوج بالملازم أول "محمد ماهر رشدي " وهو من الإسكندرية وأصله من المحمودية – بحيرة – وتعيش في كنفه في سعادة وهناء وتنجب منه أولادا ستة ثلاث بنات وثلاثة أبناء

(١) انظر مقدمة ديوانها ص١٠.

وكانت هذه المرحلة – بحق – نقطة انطلاق جديدة للشاعرة، فراحت تفتح نوافذها وقلبها وفكرها على الحياة العامة، وتابعت باهتمام ما يجري في عالم الأدب والسياسة، وشاركت بشعرها في مختلف المناسبات حلوها ومرها، تواسي المحزون، وتهنئ السعيد، وتهزها أفراح أولادها، وتعاودها المواجع، وتنتابها الأمراض، وتتأثر أحاسيسها بهذه الخواطر المتناقضة، وتبعثها شعرا رقيقا صافيا يفيض حنانا وينبض إنسانية ويتدفق عذوبة، ومن ذلك قولها تصور حكايتها مع الحياة وصروفها: (١)

مضت السنون وهرولت أيامي وقسا الزمـان وزاد في إيلامي
يا للزمان مسالما ومعـــاديا ومفـجرا مـن غدره إلهامي
يا دهر هل عانيت ما أحدثته نفس محطـمة وقلب دام
حسبي من الأيام ما لاقيتـــه ما هذه الدنيا بدار سلام

وفي سنة ١٩٥٨م، تأبي المقادير إلا أن تفجعها في زوجها الثاني اللواء "محمد ماهر رشدي "والذي كان مديرا لمدرية بني سويف آنذاك، فقد توفاه الله إثر مرض ألزمه الفراش، فكان الأمر المحتوم .

وكان هذا الحدث الأليم علي نفس الشاعرة الرقيقة سببا في تفجير طاقتها الإبداعية، فصرفها إلي الشعر تنظمه كيف تشاء، وينتشر شعرها في الصحف والمجلات، وإذا بالبنين والبنات من حولها كالفراشات هياما بما تقول وتكتب من شعر، والكل يحفظ إعجابا بفنها، ومن أشعارها التي تفيض شجنا وحزنا وأسى على فقد زوجها الثاني قولها: (٢)

مني السلام عليك يا قبراً حـــوي جم الصلاح وقوة الإيـمان

(١) ديوانها، ٥٥.
(٢) ديوانها، ١٤٩.

فيك انطوى كنز الفضائل والتـــقى وكذاك دوما من عليها فـان
وافاك "رشدي "وهو عندك قد ثوى مستبشرا بالقرب للديـــان
يا راقدا تحت الثرى مثواك فـــي خلد النعيم وجنة الرضـوان
يا صانع المعروف في طى الخـفا نم مطمئنا في حمى وأمان
يهنيك ما قدمت في دنيـــاك من بر ومن فضل ومن إحـسان

ولها قصائد أخرى في رثاء هذا الزوج، منها قصيدة" ذكراك يا ماهر" وقصيدة "في ذمة الله يا ماهر " وغيرهما، وهي قصائد تشكو فيها لوعتها وحزنها على فقد زوجها وعائل أولادها ورأت أن كل الأرزاء تهون إلا فقد زوجها، وهي تصور هذا الإحساس فتقول: (١)

ذهب المصاب برشدنا فكأننا صرعى مدام
قد هـــانت الأرزاء إلا فقد عائلنا الهـمام

وفي ذكراه السابعة تقول: (٢)

حنانيك ربي إن في القلب لوعة يضيق بها طول المدى وتروع
حنانيك ربي إننا عقد أســـرة بكته فما أجدت لحون توقع
حنانيك هل من بعد فقدان ماهر تطيب لنا الدنيا أو العيش ينفع

وهكذا ظل موكب الحياة ينتقل بها من حدث إلى آخر ومن محنة إلى أخرى حتى غدت باكية في نومها ويقظتها، فقد عركتها الهموم والأحزان، حتى براها النحيب وأقعدها المرض، ولا تملك إلا أن ترفع عقيرتها بالشكوى إلى الله عله سبحانه يخفف عنها من البلاء ولنستمع إليها وهي تقول بقلب أضناه الهم ونغصت صفوه الكوارث: (٣)

(١) السابق ١٦٠.
(٢) السابق،١٦٦.
(٣) السابق،٦٢.

إلهي لقد أوهى السقام تجلدي وقلبي مضني ساورته خطوب
وعفت حياة نغصتها كـــــوارث ورمت ورود الموت وهو عصيب
فيا لهف نفسي ما أرى البين تاركي وخافق قلبي قد براه نحيب
فيا ويل جسمي كم من الضر والأذى يعاني ووجهي كم عراه شحوب

فهذا الشعر صدى نفس مكلومة، وأنات قلب منفطر، تراكمت عليه الهموم والأحزان، وعلى الرغم من ذلك فقد ظلت الشاعرة تجسد الحياة بكل ما فيها في أشعار تفيض عذوبة وروعة، حتى وقف بها قطار الحياة عند المحطة الأخيرة، ففي الثاني والعشرين من أكتوبر سنة ١٩٦٥م، لم تتحمل شيخوختها الرقيقة وقع الموت، فصعدت روحها الطيبة إلى بارئها بعد اثنين وسبعين عاما، حفلت بجلائل الأعمال، وزخرت بالشمائل الرقيقة التي لمسها كل من عرف بيتها وأسرتها. (١)

ثانيا: شاعريتها.

بالقراءة المتأنية لديوان" أنوار منيرة " يتبين أن الشاعرة كانت أديبة من طراز نادر في عصرنا الحديث، حيث كانت تتمتع بإحساس عال وعاطفة جياشة صادقة، ووجدان عاطفي رقيق، وغزارة فنية وثورة شعرية مكسوة بلاغة وسحر بيان.

وأول ما يطالعنا من ملامح شاعريتها من حيث الموضوعات التي وردت في ديوانها هذا اللحن الحزين، وذلك الشجن الذي ملك حسها وعاطفتها، فلطالما كتبت تعزي وتواسي وترثي رجالا ونساء بأشعار تفيض شجنا، وتثير في النفس الأسى والألم، وذلك أنها ابتليت ابتلاءات كثيرة، جعلتها تجهر إلى الله بالشكوى في مثل قولها: (٢)

أبيت الليالي في التألم والضنى أراعي نجوم الليل وهي تغيب

(١) انظر مقدمة ديوانها، ١٢.
(٢) ديوانها،٦٢.

يعاندني الدهر الخؤون ولم أكن أثمت ولم تكتب علي ذنوب
فما من ذنوب قد أراني جنيتها سوى سوء حظ والبلاء نصيب
فلله أشكو ما ألاقي من الضنى ومن حادثات الدهر وهي لعوب
فيا حادثات الدهر كفي هنيهة ونحن ضرام القلب وهو شبوب
ورفقا بنفسي فالأسى قد أذابها وجسمي لا يدري شفاه طبيب

ومن ذلك – أيضا – ترثي أمها: (١)

الدهر أورثني الضنى والدمع أسرف في انسجام
ولكم صبرت على الأذى ولكم أصابتني سهام
ورأيت أهوالا تشيب الطفل من قبل الفطام
ويلاه من يوم النوى وفجيعة الموت الزؤام
بين الشقيق لعامه وأبي وأمي نصف عام
فغدوت كالخنساء أبكي في التيقظ والمنام
أبكي ثلاثتهم ونار الحزن تمعن في اضطرام
وكما بكت صخر الندى بطل المعامع والصدام
أبكي أخي فخر الشباب وطلعة البدر التمام

وفي الديوان قصائد كثيرة، يعلو فيها هذا الإحساس المتوقد، وذلك اللحن الحزين المنبعث من نفس مكلومة وقلب أضناه الشجن، فجاءت كلها على درجة من الصدق والأداء الفني الرائع.

هذا بالإضافة إلى الشعر الوجداني العاطفي، الذي سيكون موضوع الدراسة في هذا البحث، فقد بلغت فيه مبلغا كبيرا، ربما فاق ما قاله الشعراء رقة ومعنى ومتانة ومبنى، ومن ذلك قولها: (١)

(١) السابق،١٥٤.

بعد الحبيب وصده أشـقاني والشوق أجرى الدمع كالفيضان

يا لهف نفسي بالجوى وعذابه يا بؤس عيش العاشق الولـهان

وهناك نماذج كثيرة من هذا النوع الذي اتسمت به الشاعرة سنتناوله في حينه إن شاء الله.

ومن ملامح شاعريتها التجارب الوطنية، التي تناولت فيها قضايا الوطن، ولهج لسانها بحبه، ومن ذلك قولها: (٢)

يا مصر ذكرك في فــمي وهواك فــي قلبي أقام

فيك المواهب والنهى فيك الحياء والاحتشام

كل يسهده هـــواك ولا يفيـــق من الهيام

إني ســـألت الله أن يرعـــاك عالية المقام

هذا وقد صاغت الشاعرة بشاعريتها ملحمة وطنية أهدتها إلى الرئيس الراحل "جمال عبد الناصر " بمناسبة ثورة ١٩٥٢م، وإلى غير ذلك من القصائد التي تناولت فيها بعض الشخصيات الوطنية، مثل: " سعد زغلول ومصطفى كامل وأحمد عرابي " وغيرهم ممن كان لهم دور في الدفاع عن الوطن والذود عن حقوقه، وكلها أشعار اتسمت بالصدق الفني والروعة الفنية في الأداء. (٣)

هذا بالإضافة إلي أشعارها في قضية المرأة والدفاع عن حقوقها، حتى لقبت بشاعرة الاتحاد النسوى، الذي كانت ترأسه آنذاك "هدي شعراوي " وكانت تدعي إليه في القاهرة، فتلقي قصائدها ٠ كما لم يغب عن ذهنها أمر الشباب، ففي عام ١٩٣٦م، ألقت قصيدتها في موسم الشعر الذي أقيم في جمعية الشبان

---

(١) ديوانها، ١٢٣.

(٢) السابق،٢٩.

(٣)انظر قصائدها في هذا الإطار، زعامة، وادي النيل، مولد رئيس،عيد الثورة،السد العالي، ملحمة الفجر الجديد، مصطفى كامل، أسد الريف، النهضة النسائية،وكلها قصائد جمعت بين شرف المعنى وجمال التعبير.

المسلمين، وكانت بعنوان " في الشباب والزواج " فشدت بها انتباه كبار الشعراء والأدباء لما أبدت فيها من حكمة وبراعة فنية وصياغة رقيقة عذبة، وفيها تقول: (١)

أواه لو ســـــمع الشـــبا ... ب نصيحة الأم الـــرءوم
فخذوا الـــزواج فإنـــه ... باب السعادة والنعـــيم
ودعوا الغـــواية إنـــها ... باب إلى وادي الجحيم
وتزوجوا مـن عرضـــكم ... تبقوا على العرض السـليم
ودعوا زواج الأجـــنبي ... فهو شر مســـــتديم
لا يخدعنكمو جـمال ... الأجنبيات الوســـــيم
كلا ولا سحر الكـــلام ... ورقة الصوت الرخـــيم
فتياتكم أولى بـــكم ... لطهارة الأصل الـــكريم
فتياتكم حازت جـــمال ... الخلق والخلق الـــكريم
فخذوا السبيل إلى الهدى ... واستغفروا الله العظـــيم

ونلحظ في البيت قبل الأخير تكرارا للقافية قبل سبعة أبيات وهو عيب من عيوب القافية يسمى الإيطاء.

ومن التجارب المتممة لشاعريتها تصويرها للطبيعة، ووصفها بعض مناظرها الجميلة الخلابة في صورة جميلة رائعة، تنم عن إحساس مرهف ونفس صافية، ومن ذلك قولها في قصيدة "عيد الربيع " والتي ألقيت في حفل جماعة نشر الثقافة: (٢)

خلع الربيع عـــــذاره ... فتورد الزهر الخـــجول

(١) ديونها،٦٧.
(٢)السابق،٦٩,٧٠.

وبدا على الورد الــندى في نضرة الخد الأســيل
فتعطرت بعبـــــــيره أرجاء وادينا الظــليل
و توشحت بوشاح بهجته الحدائق والحقـــــول
فهنا البساط السندســـي وهـــناك أغصان تميل

وتقول في قصيدتها " الربيع " والتي نشرتها جماعة أدباء العروبة في الكتاب الذهبي: (١)

هذا الربيع تفتحت أزهاره وتساجلت فوق الربى أطياره
وهفا النسيم إلى الرياض مداعبا غصنا تفتح للندى نواره
يهتز في كف النسيم كأنه ثمل تمشت في العظام عقاره
والجدول الرقراق فاض لجينه صبحا وسال لدى الأصيل نضاره
تلك الرياض الباسمات غدت له سفرا تفوح بعطره أسطاره

ولها أشعار أخرى في هذا المضمون، وكلها تشير إلى إحساس مرهف وذوق رفيع، وقدرة على الوصف والتخيل. (٢)

وتتعدد تجارب شاعريتها، وتتنوع موضوعاتها، فتقف علي قضايا المجتمع بكل أشكالها، فتتحدث عن رعاية الأطفال، وتتناول قضية المرأة في جرأة وفكر ثاقب، ورأي راجح في لغة شعرية رائعة، وإن كانت تميل إلي دعوة " قاسم أمين " لكنها في الوقت ذاته كانت تنادي بتعليم المرأة وتثقيفها، وتطالب المرأة بأن تؤدي دورها المنوط بها في المجتمع، لترقي ويرقي مجتمعها. (٣)

وبعد فإن " منيرة توفيق " كانت تتمتع بموهبة شعرية جديرة بالتقدير، حيث تنوعت تجاربها، وتعددت موضوعاتها وواكبت عصرها بقضاياه المتنوعة

(١)السابق،٥٩.
(٢)انظر قصيدتها:"النيل والقمر وجيل المقطم " وقصيدتها:" في مهرجان الشعر"
(٣)انظر قصيدتها "النهضة النسائية ".–وفي مهرجان الشعر، والإتحاد النسائي ".

والمتعددة، الثقافية منها والسياسية والوطنية، وظهر كل ذلك في شعرها بصورة تدل علي معايشتها لكل هذه الظروف، هذا فضلا عن شعرها الذاتي أو الوجداني العاطفي، الذي نال إعجاب كثير من النقاد، مما جعل بعضهم يطلق عليها "أديبة الجيل ".[١]

وكان من ثمرة شاعريتها وتقديرا لها أنها نالت الميدالية الذهبية مع درجة التفوق الأدبي في مهرجان الشعر الذي عقده الأدباء بالقاهرة سنة ١٩٤٢ م، تقديرا لما فاض به وجدانها من شعر رقيق، كان موضع إعجاب الجميع، ولا أدل على ذلك من هذا الكم الكبير من القصائد والتي بلغت أكثر من مائة وأربعين قصيدة في مختلف الأغراض الوطنية والعروبة والوصف والمراثي والتهنئة والتكريم، وشعر الأسرة والأعياد والذكريات، والوجدانيات، إلى غير ذلك مما ضمه ديوان " أنوار منيرة " مما يدل على شاعريتها وتنوع تجاربها، وتمكنها من أدوات فنها.

من أقوال الأدباء والشعراء فيها:

نالت الشاعرة "منيرة توفيق " حظوة ومنزلة كبيرتين بين الأدباء والشعراء ؛ لما وجدوا في أشعارها من مخايل الموهبة والتفوق والإجادة، فكان لبعض الأدباء والنقاد بعض الكلمات والآراء النقدية التي وصفت الشاعرة وشعرها، ومن ذلك قول الأديب " عبد الغني سلامة ": "إذا قلنا إن شاعرتنا الكبيرة صاحبة (الأنوار) هي حاملة لواء الشعر النسوي الجميل لم ننقص شاعرة من شواعر العرب قدرها، ولم نقض بحق لغير أهله في ميزان الحكم الحكيم ".[٢]

(١)انظر تقديم الشاعر عبد الغني سلامة لديوانها.
(٢)انظر تقديم الشاعر عبد الغني سلامة لديوانها.

وقوله أيضا: "والحق أن السيدة "منيرة توفيق " أبرز مثال للإحساس بالجمال وإشراق الفكر في عصرنا الحديث، لأننا لو عدنا بالذاكرة إلى أكثر من ربع قرن مضى لم نجد أدب امرأة ماجدة شغل أذهان قادة الفكر في سائر الأقطار العربية كما شغلته شاعرتنا بأحداث حياتها وتيارات اتجاهات أشعارها". (١)

وقوله كذلك: " وكيف لا تكون شاعرتنا جديرة بما نأمل لها وهي التي بلغت من الشعر الوجداني مبلغ الخنساء، وخلدت للشعر النسوي صورا ما كان الشعر أن يحظى بها لولا (أنوار منيرة) ٠" (٢) كما أنه أطلق عليها لقب " أديبة الجيل ".

وقال عنها الأديب "محمد محمود زيتون ": " ومما هو جدير بالذكر أن شاعرتنا الأديبة كانت ذات طراز نادر من أديبات عصرها، فقد غلب عليها اللحن الحزين فكثر شعرها في الرثاء، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن الوفاء من أبرز سمات شخصيتها المميزة لها... وبهذا كان ديوان (أنوار منيرة) سجلا تاريخيا حافلا بذكريات غالية، تضفي على عصر الأديبة الشاعرة ميزة لم تتوفر لغيرها من بنات جنسها " (٣).

وقال عنها "محمد حمدي عاشور "محافظ الإسكندرية ورئيس الهيئة المحلية لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية آنذاك: " وإنه لمن حسن حظ الإسكندرية أن يكون بين ربوعها سيدة أديبة أوتيت موهبة التعبير عن مشاعرها بشعر عربي رصين يهز النفس ويثري الوجدان ويوحي بالرضا والارتياح على نحو فريد من فنون القول، اختصت به هذه الأديبة الكبيرة "منيرة توفيق ".(٤)

---

(١)ديوان أنوار منيرة،١٥، ٢٠.
(٢)السابق الصفحة نفسها.
(٣)السابق،١١.
(٤)السابق،٥.

ويقول عنها أيضا: " كان لأديبتنا السكندرية طابعها المميز من عزة النفس ورقة الحس وإرضاء الفن، لهذا كان ديوانها (أنوار منيرة) صورة من هذا الخلق السامي والطراز الفني النادر من الشعر النسائي ".[١]

وكما كان للأدباء مثل هذه الأقوال والآراء التي كشفت عن ملامح شخصيتها وفنها كان لبعض الشعراء – أيضا – آراء صاغوها شعرا، نورد جزءا منه لتكتمل معرفتنا بشاعرتنا، ومن ذلك قول الشاعر "عبد الغني سلامة " مبينا شعرها وأدبها في قصيدة له بعنوان (الحسناء الشاعرة زهرة الفن): [٢]

شعرها علم الربيع هواه قبل أن يبلغ الربيع فطامه
قدستها السماء والأدب الجم سقاها سحابه وغمامه
وحباها البيان ملك سليمان وألقي لها القريض زمامه
فقرأناه واستمعنا إليه نغما أحكم البديع نظامه
كبر الناس من لدنه وقالوا أودع الفن في الجمال غرامه

وفي شعرها وأدبها يقول الشاعر "محمد عبد الغني حسن " : [٣]

شمس من الأدب الرفيع " منيرة " هي بالنظم والنثير خبيره
هي بالثناء من الأنام جديرة طابت لديها سيرة وسريره
هي ذي على عرش القريض أميره بالعلم والخلق الجميل شهيره
طالت بها الأيام وهي قصيرة

ويقول الشاعر " عبد الهادي الطويل " ذاكرا عذوبة شعرها ورقته: [٤]

صداحة الأيك النضير ألا اسلمي وبشعرك العذب الرقيق ترنمي

---

(١)السابق، ٦.
(٢)السابق ١٧٢، ١٧٣.
(٣)١٧٣.
(٤)السابق،١٧٠.

وبصفو دهرك ما حيـــيت تنعمي يا زينة الجنس اللطيف الناعم
ثم احمدي فضل الإلـــه المنعم يـا كوكب الأشعار بين الأنجم
ما أنت إلا كالزهور نضيره

وعن بعض فضائلها وخصالها يقول الشاعر "عبد الغني سلامة ":[1]

أم مباركة وزوج طاهـــــــره لقضاء واجبها العظيم مثابره
ريفـــــــية عربية متحضره وأدبية بين العقائل شاعره
وعت الفضائل والخلال الباهره لهناء أسرتها دواما ساهـره
عين الزمان بها الغداة قريره

ويقول عنها الشاعر الكبير " إبراهيم ناجي "، مبينا قدرها ومنزلتها: [2]

أمنيرة الوجه الســني تقبلي مني جليل تحيتي وسـلامي
إن كان قد قصر اللقاء ففي غد يغدو خيالك في البعاد أمامي
فكأنما رفت علي خواطــر مما تطوف علي في الأحـــلام
فسألت نفسي مذ رأيتك هاهنا من ذلك الملك الكريم السامي

وهناك أشعار أخرى من شعراء آخرين، ذكروا فيها فضلها وشاعريتها، وكلها تشير إلى قدرها ومنزلتها بين الشعراء في ذلك العصر الذي كثر فيه الشعراء وتزاحم فيه الأدباء، وعلى الرغم من ذلك لم تلق الشاعرة نصيبها من الشهرة والاهتمام والسبب – كما يقول وبعض معاصريها – أنها كانت راضية بصدقها وروعة فنها وزاهدة في تلك الشهرة.

على أية حال فإن هذه الأقوال وتلك الأشعار من أولئك الشعراء – وإن كانت لا تمثل رأيا نقديا– ما هي إلا دلالة على شهرتها في الأوساط الأدبية

(١)السابق،١٧٣.
(٢)السابق، ١٧٣.

آنذاك، لكن الغريب أن أحدا لم يتناولها بالدراسة أو بالنقد وهي من جيل الأدباء و الشعراء بل النقاد الكبار.

المبحث الثاني

محاور الاتجاه الوجداني في شعر " منيرة توفيق "

توطئة: كان التيار التقليدي في يوم من الأيام مهوى الأفئدة ومبعث الفخار وذلك لأنه نتج عن حركة بعث قوية رادها " البارودي " ردت إلى الأدب العربي روحه وحياته، بعد أن كان قد ذبل وجف واستحال إلى هياكل وزخارف في العصرين العثماني والمملوكي.

وقد أسهمت عوامل عديدة في نهوض هذا التيار واستمراره، منها الطباعة، وذلك بفضل ما أخذت تنشره من أمهات الكتب من التراث العربي القديم، وتقدمه إلى ذوي المواهب من رواد النهضة الأدبية الحديثة.

ومما أدى إلى تقوية هذا التيار التقليدي، والإسهام في استمراره تلك الأحداث السياسية التي عززت الشعور بالوطنية المصرية والقومية العربية، التي كانت تجابه بغطرسة الأتراك والجراكسة. (١)

وبالرغم من استمرار التيار التقليدي وازدهاره وسيطرته على الساحة الأدبية والثقافية بفضل كبار شعرائه أمثال: البارودي وشوقي وحافظ إبراهيم ، فإن تطورا ما قد حدث نتيجة الاتصال بالآداب الأوربية مباشرة أو عن طريق الترجمة، فقد كان من ثمار هذا الاتصال تيار فكري أدبي جديد، يدعو إلى الخروج من التقليد إلى الابتداع، وإلى تدعيم الأدب العربي الحديث باتجاهات الفكر والأدب والفن الغربية، وبخاصة فيما يتعلق بشعر الوجدان، وضرورة تعبير الشاعر أوالأديب عن نفسه تعبيرا صادقا في صور فنية تماشي أصول الأدب والفن العالميين. (٢)

---

(١) انظر، الشعر المصري بعد شوقي، د / محمد مندور،الحلقة الثالثة،٩٢.
(٢) السابق،٩٣.

ولعل هذا التطور الأدبي كان – أيضا – ثمرة من ثمار النهضة التي أخذت تشعر الفرد بوجوده وبقيمته الذاتية، وبضرورة التعبير عن نفسه ؛ مما أدى إلى ظهور تيار الشعر الوجداني عند الجيل الذي ظهر في أوائل القرن العشرين، أمثال: شعراء جماعة الديوان، الذين رفعوا شعار " ألا يا طائر الفردوس إن الشعر وجدان ".

وتأتي جماعة أبوللو لتعزز هذا الاتجاه بكثرة عدد شعرائها وغزارة إنتاجهم، على الرغم من تفاوت نغماتهم تبعا لتفاوت أمزجتهم وألوان أرواحهم، وفلسفة حياتهم، وإن اجتمعوا تحت مظلة واحدة هي مظلة الشعر الوجداني أو الرومانسي.

وكان من أهم خصائص هذا التيار ومقوماته الحرص على الجو الشعري، وعلى الموسيقى الشعرية، وعلى ظلال المعاني المرهفة المعبرة عن ذوات أصحابها.

وقد كان لجماعة أبوللو أثر كبير في نشر هذا التيار الوجداني في الشعر بين كثير من الشعراء ليس في مصر وحدها وإنما في سائر الأقطار العربية، سواء كانوا منتسبين لها أو غير منتسبين.

ومن أولئك الشعراء الذين مستهم رياح هذا التيار – وإن لم ينتسبوا إليه – الشاعرة "منيرة توفيق "، التي ظهر هذا التيار في ديوانها بصورة واضحة ٠ وقد دار في شعرها حول عدة محاور، استطاعت من خلالها التعبير عن ذاتها في حرية وصراحة واضحتين، هذا بالإضافة إلى أشعارها في الوطن وقضاياه الاجتماعية والوطنية، إلا أن نبوغها الأكبر كان في الشعر الوجداني الذاتي، الذي دار حول المحاور التالية:

المحور الأول: عاطفة الحب.

قبل أن نخوض في ملامح الحب عند الشاعرة "منيرة توفيق " ينبغي أن نشير إلى أن الشواعر في بداية النهضة الأدبية من أمثال: وردة اليازجي وعائشة

التيمورية وأمينة نجيب وملك حفني، كن جد حريصات على وأد عواطفهن مراعاة لقواعد الاحتشام الذي كانت تحتمه البيئة آنذاك.

فقد كان محرما عليهن شعر الوجدان الفطري، وكانت عاطفة الشعر عندهن محصورة في تجارب محددة، مثل: الرثاء، وتحية الأهل وتوديعهم [١]. وظل الحال على هذا المنحى بالنسبة لشعر المرأة إلى أن جاءت الدعوة إلى التعبير عن الذات في صدق وإخلاص، وعمقت جماعة أبوللو هذه الدعوة في النفوس إلى درجة غالب بها الشعر التقاليد المتحجرة، وكما هو معروف أن الشعر أرحب وأفسح من النثر بعواطف الشعراء وأشواق أرواحهم وتجاربهم الذاتية ؛لذا كان من ثمرة هذه الدعوة ظهور شواعر استطعن أن تغالبن هذه التقاليد، وتعبرن عن عواطفهن وأشواق أرواحهن، لكن بصورة غير كاملة، مثل " جميلة العلا يلي " "وروحية القليني" و"ملك عبد العزيز"، من مصر، و"فدوي طوقان" من فلسطين و"نازك الملائكة "من العراق، وإن كانت الأخيرتان أكثر اقتحاما لهذا الميدان من الشواعر المصريات السالف ذكرهن ؛ حيث كن يصدرن قصائدهن بأقصوصة صغيرة مخترعة يزعمن فيها أنهن يترجمن عن عواطف فتيات غيرهن، تحشما ومراعاة للتقاليد آنذاك، أما فدوى ونازك فقد انتزعتا نهائيا حق المرأة ككائن حي في أن تحب وأن تتحدث عن حبها أو تتشوق إليه، وهذا أمر تقره الفطرة البشرية، لأن للمرأة قلبا كقلب الرجل وإحساسا كإحساسه إن لم يكن أقوي. [٢]

وبهذا القلب القوى وذاك الإحساس المرهف استطاعت الشاعرة " منيرة توفيق "أن تعبر عن عواطفها الخاصة وتتغنى بأشواق روحها وتعلن عن أنوثتها في شجاعة وصدق وإخلاص، وفي غير مجافاة للعفاف الذي يزيد المرأة جمالا وحسنا.وأول ما يطالعنا في هذا الإتجاة وفي ذاك المحور قطعة بعنوان "وفاء" تعبر فيها عن وفائها لحبيبها و إخلاصها له في المحبة والمودة وتغلف هذا الوفاء

(١)السابق، ٥١.
(٢)أنظر السابق، ص ٥٣.

وتلك المحبة بما لهذا الحبيب من الصفات الجميلة التي تأسر القلب و تثير في النفس البهجة والسرور، وفي صراحة تخاطب الشاعرة حبيبها قائلة: (١)

يا بهجة القلب الولوع ومنتـــهى أملى من الدنيا ومن أحـــلامي
أسديت لي صدق المودة والوفا فغمرتني بالفضل و الإنعـــام
أشهى أماني العذاب رأيتـــها في مقلتيك و ثغرك البســـام
وأرى الحجى والطهر نمق أسطرا فوق الجبين المشرق المتسامي
قسما بحقك والوفاء سجـــيتي والصدق دأبي والوداد أمـامي
ما حلت عن عهد الوداد فإن أمت ظل الوفا والود طي عظامـي

وتعلن الشاعرة في رومانسية عن مكانة حبيبها من قلبها، فهو في سويداء الفؤاد، وفي قربه منها شفاء لنفسها من ألم البعاد، وتنتقل بنا من عالم الحقيقة إلى عالم الخيال، فترى طيف حبيبها فيثير في نفسها الحب و الشوق والوداد، بل إنها تدير حوارا مع هذا الطيف وذاك الخيال الذي وافاها ومر من أمامها سريعا، فلا تملك إلا أن تعلن له عما في نفسها من شوق وحب، أسلمت له طائعة، فأصبحت مسلوبة الفؤاد أسيرة الحب والجوى، تقول الشاعرة "منيرة " في قصيدتها " جواب " مصورة هذا الإحساس وذاك الوجدان العاطفي: (٢)

فديتك لا عدمـــتك من وفي فإنك في سويداء الفــؤاد
أدام الله عزك والمـــعالي وصانك ما حييت من العوادي
ووافاني بقرب منك فـــيه شفاء النفس من ألم البـــعاد
وحقك إنني لليل أفـــضى وقد كحلت جفني بالسهاد
فلم يهدأ لجنبي اضطـــجاع كأني فوق أشواك القـــتاد

(١)ديوانها ص ٥٨.
(٢)ديوانها، ١٢١,١٢٢.

وأرقني الجوى فازداد سقمي فلم أسطع مفارقة الوساد

وبعد هذه اللوعة وذاك الشقاء وتلك المعاناة تلح الشاعرة على هذا الاستغراق العاطفي، فتنتقل بنا إلى عالم الخيال والرؤى علَ ذالك يخفف من لوعتها، فترى خيال محبوبها يمر من أمامها سريعا، فتحاول برومانسيتها محاورة هذا الخيال، فتفصح عما في نفسها من شوق و محبة لصاحب هذا الخيال، وهذا ملمح من ملامح الرومانسية والاتجاه الوجداني العاطفي، تقول الشاعرة:

أرى طيف الحبيب أمام عيني يمر كأنه خيل الطراد
فقلت له فديتك من خيال يحرك في الحشا لهف الوداد
رويدك يا خيال أجئت تحنو على من بات مسلوب الفؤاد
فبلغ يا خيال الحب أنى له أسلمت –طائعة– قيادي

وبعد أن أعلنت الشاعرة عن حبها وإخلاصها لمحبوبها وهيامها به وانشغال قلبها وعواطفها وتعلق روحها بهذا الحب، تتغنى به في رومانسية وعذرية، فتعلن عن ملامح هذا الحب في نفسها، وما جنته من ثماره الشهية، رغم عذل العاذلين وجهل الباغضين، تقول الشاعرة في قصيدتها "أغنية للحب": (١)

عن نشوة الحب سل كل المحبينا فللهوى نشوة تشجي الخليينا
قل للذي جاءنا في الحب يعذلنا لاتحسب العذل عن ذا الحب يلهينا
إنا رشفناه صرفا لا مزاج له نسقي الذي نحن نهواه ويسقينا
إنا جنيناه وردا عاطرا عبقا يذكي الهوى وشممناه رياحينا
قل ما تشاء فأذني غير واعية أو لا تقل فالهوى العذري يغنينا
لو كنت تدري الهوى ماجئت تعذلنا أو كنت ترحم في الحب المحبينا

(١)ديوانها، ١٢٢.

وبعد التغني بهذا الحب وجناه الطيب تجد الشاعرة نفسها في حيرة مؤلمة، فلا هي بالقادرة علي أن تهجر هذا الحب الذي يملأ أركان نفسها، ويعلى من أشواق روحها، ولاهي بالمستمتعة به، إذ يبدو محبوبها–دائما– في أشعارها معذبا هاجرا متجافيا، سريع النسيان مستهينا، لذا فهي تقضي الليل في ذكرى تؤرقها وألم يعتصرها وأمنية تروم تحقيقها.

وفي ملمح من ملامح الرومانسية تتداخل الشاعرة مع عنصر من عناصر الطبيعة مع تلك القمرية التي أيقظت شجنها بغنائها، وأثارت جوى قلبها ألوانا وأشكالا، حتى ثارت بلابله متسائلة:هل شجا الطير ما قد بات يشجينا؟.

ولننظر إلى هذا التداخل وتلك الرومانسية وهذا التعبير الوجداني الذي يصور ما تعانيه الشاعرة من هذا الحب: (١)

أقضي الليل والذكرى تؤرقني ... ليت الذي قد نأى عنا يوافينا
ما كدت أسلوه حتى أيقظت شجني ... "قمرية "في الربى غنت قوافينا
سبحان من علم الورقاء في فنن ... فرددت شجنا حينا يلي حينا
وأرسلت آهة حرى كأن بها ... شجوا أثار جوى قلبي أفانينا
هتفت والقلب قد ثارت بلابله ... هل قد شجا الطير ما قد بات يشجينا
وسال دمعي على الخدين منسجما ... كلؤلؤ ونوى الأحباب يمليناً
إن الحبيب الذي قد كان يسعدنا ... بالوصل قد عاد بالهجران يصلينا (٢)
يا ويح قلبي من الشوق الشديد إلي ... من بات لا يرتضي إلا تجافينا
عسي الذي بدوام الصد يقتلنا ... يعود يوما إلي وصل فيحيينا

---

(١) ديوانها ١٢٢,١٢٣.

(٢)الشاعرة متأثرة في هذا البيت ببيت ابن زيدون في نونيته والذي يقول فيه:

إن الزمان الذي مازال يضحكنا ... أنسا يقربهمو قد عاد يبكينا

بل لعلها متأثرة في القصيدة كلها بهذه النونية ، وخاصة وأن الشاعرة أقامتها علي نفس القافية والروي.

وهكذا نري الشاعرة قد استطاعت أن تعبر عما في قلبها من حب، وما في نفسها من شوق للقاء المحبوب، وقد غلفت هذا المضمون في صورة جمالية ملائمة تؤثر في المتلقي فتجعله يستجيب لها في سهولة ويسر، بل في طرب وإقبال، ومشاركة وجدانية معها.

وتستمر الشاعرة في بث لواعجها وأشواقها، فلا تزال متعلقة بهذا الحب وذاك الحبيب الذي وسمته الشاعرة بالصد والهجران، مما جعلها في شقاء وحرمان، فراحت تعلن عن هذا الشقاء وذاك الوجدان المفعم باللَّوعة والآسي علي فراق الحبيب وصده، تقول الشاعرة في قصيدتها "شقاء الشوق ":[1]

بعد الحبيب وصده أشـــقاني	**والشوق أجرى الدمع كالفيضان**
يا لهف نفسي بالجوى وعذابه	**يا بؤس عيش العاشــق الولهان**
أقضي الليالي والسهاد يزيدني	**ألما ممضا والفـــــؤاد يعاني**
من قسوة التبريح ما يســـمو به	**متقلبا في ساحة النـــيران**
يا لوعتي قد طال بي أمد النوى	**يارب رفقا بالكيان الــفاني**
فالقلب أضحى من فراق أحـبتي	**يشكو جواه لخالق الأكــوان**
فعساه يرأف بالفؤاد وينطـــوي	**عهد النوى بالقرب والإذعـــان**
وتقر عيني بالحبــيب وقربه	**وأكفكف الدمع الغزير القاني**
وأقول للقلب المشوق افرح وطب	**هذا الزمان أتى بخير ضــمان**
عاد الحبيب مواصلا متعـــطفا	**بعد النوى والصد والهجران**

وهكذا نرى الشاعرة تبكي آلامها بكاء مرا، وتعلن عن شقائها في الحب في صراحة ومكاشفة، صارخة من أعماق وجدانها باللوعة وطول أمد النوى، وتقلبها في نيران الشوق والحرمان من لقاء الحبيب.

(١)ديوانها ص١٢٣.

كما نرى أيضا أنها خرجت في نهاية القصيدة من هذا الجو المفعم باللوعة والشوق، إلى جو من الأحلام والأمنيات الحالمة برجوع الحبيب وموافاته لها بالوصل والعطف، وفي ذلك بحث من الشاعرة عن العطف والوصال، ولاغرو في ذلك فمن ملامح الرومانسية البحث عن المثل العليا، فإن لم يجدها الشاعر في الحقيقة، أوجدها في عالم الخيال والأحلام والأماني التي عساها توافيه، حتى تستكين نفسه، وتهدأ روحه، وبخاصة المرأة التي يمثل الحب حكاية حياتها وسر كيانها.

والشاعرة لا تبكي ألآمها، ولا تحكي أشواقها مجرده جامدة بل تربطها بدقائق الذكري مع زوجها الذي ظهر من خلال أشعارها بهجره وصده عنها، فكانت تذكره بأيام القرب والصفا والعطف والمحبة والوداد، وهي مع كل ذلك لا تزداد إلا محبة وجوي، وهذا شأن الشعراء الرومانسيين الذين يجدون في الذكرى متنفسا لأرواحهم المحبوسة، وعلاجا لقلوبهم المكلومة، والتي استعذبت الشقاء والذل في الغرام والحب، ففي قصيدتها "فيم التجني" تصور الشاعرة من أعماق وجدانها هذا الإحساس وتلك المعاناة العاطفية مع زوجها بأسلوب واضح وصريح فتقول: (١)

حبيب القلب ما هذا التجـــني ... وما ذاك التجافي والبعاد
أبعد القرب تجنح للتنائـــي ... وبعد الصفو تلجأ للعناد
رضيت بشقوتي وعذاب قلـبي ... وذلي في غرامك في ازدياد
وأشقاني عنادك بعد وصـــل ... فأورثني التألم والسهاد
سئمت من الصدود وضقت ذرعا ... من الشكوى ولازمت الوساد
أرى نور النهار غدا ظلامـــا ... وضوء الشمس يعلوه السواد
وأطيار الرياض تئن حزنـــا ... لأناتي كما أنّ الجماد
وقلبك لا يلين ولا يراعـــي ... عهود الحب يا جلد الفؤاد

(١)ديوانها ١٢٣,١٢٤.

تعمدت الجفا فطعنت قـلبا مليئا بالمحبة والوداد
فيا من لامني في الحب أقصر بربك ثم قف عند الحياد
فإني قد رضيت عذاب قلبي ويفعل بي إلهي ما أراد

ونلحظ من خلال القصيدة أن الشاعرة وظفت بعض مظاهر الطبيعة لإبراز إحساسها ووجدانها، فقد رأت النهار وقد غدا ظلاما، وضوء الشمس تحول سوادا، وسحبت إحساسها المفعم بالحزن والألم على أطيار الرياض فجعلتها تئن حزنا لأناتها، وهذه عادة الشعراء الرومانسيين، أنهم يصبغون بعض مظاهر الطبيعة بإحساسهم حزنا أو سرورا.

ويرتعش قلب الشاعرة أمام عاطفة الحب، فيثور وجدانها، وتتحرك عاطفتها لتصور هذا الموقف الرومانسي الوجداني، بينها وبين محبوبها "زوجها" الذي تطغي فيه عاطفة الحب النابعة من القلب والتي تتلاشى أمامها المظاهر الأخرى للشخصية الإنسانية، فكأن الحب يعني السمو والنبل [1]، والتسامح والرضا بظلم المحبوب وصده، ففي قصيدتها " شقاء الحب " ترسم الشاعرة صورة لهذا الإحساس وتلك التجربة الحقيقية بينها وبين زوجها، فتقول: [2]

في نشوة الحب و الأخطار محدقـة معني الهناء وليل الحب يشقيني
يا عاذلي في الهوى كم جئت تعذلني دعني وحبي ففيه الذل يرضينـي
إني أتوق إلي خل يؤانســني أسقيه كأس الهوى الصافي ويسقيني
يا ليلة لمست كفي أنامــله أمسكتها ولهيب الشوق يكويـني
و كم تمنيت أني لا أفارقــه لولا عيون رقيب عنه تقصـيني
هتفت والقلب مأخوذ بنشوتــه لا أستطيع فراقا يا سنى عيني

(١)انظر موازنة بين شعراء المهجر الشمالي وجماعة أبوللو،د/ بوجمعة بوبعيو،منشورات جامعة قار يونس ط١,١٩٩٥،ص١٣٩.
(٢)ديوانها، ١١٩، ١١٨.

فيا لفرط هنائي في محبـــته ويا شقائي من دهر يعاديـــني
أقضي الليالي وآلامي تؤرقـــني علىَ أري طيفه الساري يناجيني
وكلما ضقت ذرعا بالصـــــدود أرى قلبي بعذب اللقا والوصل يغريني
وإن أراد فؤادي نيل بغـــيته أرى عفافي وخوف الله يثنيـني
يا ويح نفسي من القلب المـشوق إلي قرب الحبيب ولقياه تناديـني

وهكذا نرى الشاعرة تعلن عن شقائها في الحب، ومعاناتها في هوى المحبوب، وتمنيها للقائه وقربها منه، وكل ذلك في غير خروج على قواعد الحشمة والاعتدال، بل في عفة وخوف من الله تعالى يؤخذ ذلك من قولها:

وإن أراد فـــــــؤادي نيل بغيته أرى عفافي وخـــوف الله يثنيني

وللشاعرة قصائد أخرى تسير على هذا النحو من التيار الوجداني العاطفي، مثل:(الخافق الجريح، وأقلب ناظري، وخلسة هناء، وحنين، ولك الفؤاد، وسؤال حائر) وهي تحكي في هذه القصائد تجربتها الوجدانية العاطفية، وتمتاز هذه التجربة بأنها حقيقية واقعية في حياة الشاعرة ؛لذا جاء تصويرها في تلك القصائد وغيرها– مما تعرضنا لها –صادقا ومؤثرا ومعبرا عن أشواق روحها وجوى فؤادها، ومعاناتها المريرة من جراء صد محبوبها وهجرانه ؛ ففي قصيدتها (الخافق الجريح)تصور الشاعرة فؤادها وقد أضحى متألما شاكيا من ألم البعد والنوى، فيه النار كامنة، تزداد لهيبا واشتعالا إذا ما خيم الليل عليها ولم تجد أنيسا يؤنس وحدتها، ويواسي فؤادها السقيم من الوجد والهوى.

وتسير القصيدة على هذا النحو حتى تصل إلى نهايتها، فتعلن في صراحة أنها مهما أصابها واعتراها من ألم التبريح والجوى في محبوبها فلن تشك فى هواه، مقسمة على ذلك بحق البيت الحرام.

وفي قصيدتها (أقلب ناظري)تعلن الشاعرة عن همومها وأحزانها، فترى نفسها كأنها في سبات عميق لا تستطيع منه فواقا، وهي على تلك الحالة تقلب

ناظريها في كل اتجاه عسى يوافيها ويصفو لها خلها ومحبوبها، فتهنأ بمجالسته ومسامرته ولو قليلا لينأى عنها ذلك الحزن الدفين، ثم لا تملك إلا أن تستحضر صورة هذا المحبوب فتراه ذا قد رشيق ووجه مشرق وروح خفيفة، تميل إليها القلوب وتبعث في النفس الفرح والسرور، ولنستمع إليها تصور لنا هذه المشاعر الرقيقة فتقول: (١)

أصابتني الهموم فخلت نفسي كأني في سبات لا أفـــيق
ونالتني عوادي الدهر حـتى رأيت العيش أضحى لا يــروق
أقلب ناظري وأدير طرفـــي عسى يصفو لي الخل الصديق
أجالسه أسامره قلـــيلا لينأى ذلك الحزن العمـيق
نظرت إلى الحديقة في صباح فطالع ناظري قد رشـيق
له نظرات ظبي أذهلـــتني ووجه مشرق طلق مشـــوق
خفيف الروح مال إليه قلبي وقلبي للهوى عبد رقـيق
تعطف بالسلام علي لمحـــا كأن البدر صاحبه الشقيق
جلست إليه لحظات فـــكانت كأغصان بها سال الرحيق
كلانا جرحه في القـــلب دام كلانا الحزن صاحبه الرفيق
تآلفنا وطاب لنا التـــداني وميثاق القلوب بنا وثيـق

ولا يخفى ما في القصيدة من عاطفة جياشة وإحساس مرهف ونفس عاشقة ولهة تواقة للقاء المحبوب، الذي لم يفارق خيالها ولا ناظريها. أما الأسلوب فقد جاء معبرا عما في نفسها، راسما صورة حقيقية لما يدور في خلدها، ويتغلغل في أوصال قلبها، فقلبها عبد رقيق، أمره في يد الحب والهوى، وكذا تصويرها لتلك اللحظات التي اغتنمتها في لقاء المحبوب كأنها أغصان ندية طرية ذات عبق ورائحة شذية، مما يدل على هذا التواصل بينها وبين محبوبها:

(١)ديوانها، ١١٦.

جلـــست إليه لحظات فكانت كأغصان بها ســـال الرحيق

وفي قصيدتها (سؤال حائر) تتقمص الشاعرة شخصية محبوبها وهو يغازلها، واصفا جمالها وحبها وهيامها به، حتى براه الشوق فتبدى كالخيال على المهاد، وأصبح لهيب الحب في استعار، ونار الشوق تتقد اتقادا، وراح خيالها يلازمه ملازمة السهاد، وهو لا يملك إلا أن يخاطب هذا الخيال وذاك الطيف ويعاتبه على طول البعاد، بل يأمره بتقبيل ثغر محبوبته لعل ذلك يبرد غلته ويروي ظمأه، فهو أبدا ظامئ إلى ذلك الرضاب العذب من فيها.

كما تعلن – على لسان محبوبها – أنها ليست بذات اصطبار على الصدود والبعاد، وفي النهاية تطلب الوصال لتحيا، فقد ماتت شهيدة للصبابة والوداد، ولننظر إليها تقول في هذه القصيدة: (١)

ألا يا ظبية ملكت فـــــؤادي وراق لها عذابي واضطهادي
بحق الحب كفي عن محـــــب يهيم مع الهوى في كل واد
له جسم براه الشوق حـــــتى تبدى كالخيال على المهاد
لهيب الحب أضحى في اســـتعار ونار الشوق باتت في اتقاد
لوافحها تواصلني بطيـــــف يلازمني ملازمة السهاد
أقول له رويدك قف قلـــيلا وعاتبها على طول البعاد
وقبل ثغرها يا طيف عـــــني فإني ما حييت إليه صاد
ظمئت إلى رضاب منه عـــــذب أحب إلي من حالي الشهاد
ولست على الصدود بذي اصطبار فما منه سوى الكرب الشداد
صليني أحيا إني مت وجـــــدا شهيدا للصبابة والوداد

(١)السابق، ١٢١.

وهي وإن عبرت على لسان محبوبها إلا أنها ترى نفسها على هذا النحو من الشوق والهيام والتوق إلى لقاء المحبوب، الذي لازم طيفه خيالها، وهي بهذا الأسلوب وتلك الطريقة ترمي إلى الوصول إلى قلبه فتحظى بحبه وقربه.

ولعل هذه القصيدة هي الوحيدة من بين قصائدها في هذا الاتجاه والتي تشبه فيها الشاعرة " جميلة العلا يلي" التي اقتحمت ميدان شعر الوجدان النسائي في شجاعة وصدق وإخلاص، وفي غير مجافاة للعفاف الذي يزيد المرأة جمالا، لكنها كانت تصدر قصائدها الوجدانية بأقصوصة نثرية صغيرة تزعم فيها أنها تترجم عن عواطف فتاة غيرها ؛ لذا لم تصل – كما يقول الدكتور محمد مندور– إلى قمة الفن المرهف، لأنها تحس أو أوهمت نفسها بأنها لا تتحدث عن نفسها فلم تغلف الشعر بالشفافية المرهفة، ومن جهة أخرى تكبت من حرارة نفسها مجاراة لما أوهمت به نفسها من أنها تتحدث عن غيرها. [١] لذلك خبت النار فلم يكن لها هذا الوهج الرائع وتلك الحرارة المعبرة عن أشواق روحها، والتي وجدناها عند الشاعرة "منيرة توفيق "، فقد رأيناها في قصائدها السابقة تعلن عن نفسها في صراحة وصدق، وتفصح عن أشواقها ومعاناتها من الحب والجوى، دون خروج عن تقاليد أو مجافاة لأصول العفاف والحشمة، والدليل على ذلك قصيدتها "عتاب "أو "إلى زوجي الفاضل "، والتي تعبر فيها عن تجربة حقيقية جرت أحداثها بينها وبين زوجها، حين هجرها وأراد أن يتزوج عليها، فراحت تعلن عن معاناتها وحرارة نفسها، وما انتابها من ألم اعتصر فؤادها، فها هي تتحدث عن هذه التجربة العاطفية الوجدانية بحديث مرهف فتقول: [٢]

طال السهاد وأرقـــت عيني الكوارث والنوازل
لما جفاني من أحـــــب وراح تشغله الشواغـل

(١)انظر،الشعر المصري بعد شوقي،الحلقة الثالثة، ٥٦.
(٢)ديوانها ٧١,٧٢.

فطوي صحيفة حبـــنا وأصاخ سمعا للعـــواذل
يا أيها الزوج الفـخور وأيها الحب المواصـــل
مالي أراك معانـــدي ومعذبي في غير طائـــل
هل رمت أن تغدو طليقا لا يحول هواك حائـــل
أم رمت غيري زوجـــة يا للأسى مما تحـــاول
لم ترع لي حق الهـوى وهجرتني والهجر قاتل

وبعد أن أعلنت عن إحساسها المفعم بالأسى والألم من جراء ما قام به هذا الزوج، راحت تسائله وتعاتبه، وتذكره بحبها، وخصالها وسجاياها الرقيقة الجميلة، وتذكره كذلك بعهود الحب والتلاقي التي كانت بينهما، وما كان يبديه لها من معسول المنى، وما كان يغريها به من غرر الشمائل، وفي أسلوب يتدفق حرارة وصدقا تقول:

إن تبغ مالا فالـــذي أدريه أن المال زائـــل
أو تبغ أصلا فالـــتي قاطعتها بنت الأمـاثل
أو تبـغ آدابا فأشعـاري على أدبـي دلائـــل
أنا ما حفظت سوى الوفاء ولا ادخرت سوى الجمائل
وأنا التي شرف العـفاف لمنزلي فخر المـــنازل
جازيتني شر الجـــزاء وكنت فيه غير عـــادل
أنسيت عهدا قد مضـــى جلد التراسل والتواصـل
أيام تبدي من وســـا ئل أو تنمق من رســـائل
وتبث معسول المـــنى وتمد أسباب التحايل
وأتيت تغريني بمـــا تبديه من غرر الشمائل
فحسبت أن الدهر أنصفني وأن الســعد مـــائل

ظنـا بأنـك لم تـــــكـن لا بـالجحود ولا المخاتل

ثم أخذت تسائله عن سبب هجره لها، ومعاشرته أهل السوء الذين أوقعوه في حبالهم، فعاش بينهم مغلولا حبيسا، هاجرا حليلة فاضلة كريمة، امتلأ قلبها حبا له، فلم تفكر يوما في جفاه، لذا كان فعله هذا قتلا لها وموتا:

ماذا جـــرى فهجرتني والحب شيمته التساهل
عـاشـرت أهل الســوء فاقتنـــــــــصوك في شـــر الحبائـــل
فمضيت تطلب بينـــهم عيش المقيـد بـالسلاسـل
ورضيت هجر حلـــــيلة لما تزل خيــر الحلائل
والله ما فـــــكرت يوما في جفاك ولم أحاول
فجفوت يا صلب الطبا ع ولم تُدَارِ ولم تجامل
فاعلم بـأنــك قـاتلي والموت فيما أنت فاعل

ثم تتساءل في دهشة وانفعال عن الوصال الذي كان بينهما، وعن الكلام العذب الذي كان يلقيه على مسامعها، وعن المودة التي كانت بينهما، وعن عهود الهوى والحب أين ذهبت وولت وتسأله كذلك، هل يعلم بما فعله الأسى بها من شدة الجوى، وفي النهاية تنصحه بأن يربأ بنفسه عن مثل هذا الفعل الذي كان يريد القيام به، وأن يرجع إلى زين العقائل، وفي ديباجة سهلة ورقيقة تقول:

أين المسائل والمواصـــل في العشي وفي الأصائل ؟
أين الكلام العذب منك وأين ولى ســحر (بـابل)؟
أين المودة في الـــــهوى بيني وبينك بـالتبـادل ؟
إني أسائل أين عـــهد ك في الهوى إني أسائل ؟
أعلمت ما فعل الأســـى بي من جوى أم أنت ذاهل ؟
فاربأ بنفسك وانهها وارجع إلى زين العقائل

وهكذا نرى الشاعرة قد أعلنت عن قضيتها في صراحة وصدق، وعاطفة جياشة ووجدان صادق، يذكي لهيب الأسى ويثير الشجون، وقد ساعدها على ذلك تلك الحرية التي نالتها المرأة بدعوة " قاسم أمين "إلى تحرير المرأة وخروجها من خدرها، وبخاصة والقصيدة منشورة سنة ١٩٣٦ م، أي بعد موت قاسم أمين، ومن ثم تقدم التحية لروحه(١) في قصيدتها التي ردت بها على أولئك الذين أعجبوا بقصيدتها السابقة، مما يشير إلى تأثر الشاعرة بتلك الدعوة، والتي لم تكن المرأة قبلها تستطيع الإفصاح عن مثل هذه العواطف وتلك الوجدانات .

هذا وقد جاءت القصيدة مغلفة في ديباجة جميلة رائعة، فالأسلوب سهل ليس فيه تكلف أو تعقيد أو قوالب مستعارة، فالألفاظ سهلة رقيقة معبرة، والعبارات منسجمة يسلم بعضها بعضا في تناغم وارتباط، كما ارتكزت الشاعرة في بيان عاطفتها و إظهار انفعالاتها على كم كبير من الاستفهامات التوبيخية والاستنكارية، التي وجهتها إلى زوجها الهاجر، عله يتذكر عهود الحب والهوى، وقد نجحت الشاعرة بهذا الأسلوب نجاحا كبيرا فوجدت صدى وتأثيرا بين كل الأوساط رجالا ونساء، وعاد إليها زوجها مصافحا مسالما لما كان للقصيدة من تأثير قوي على نفسه، والشعر الحقيقي هو الذي يستطيع الشاعر من خلاله تصوير عواطفه وأحاسيسه، والتأثير بها على المتلقي ليشاركه انفعالاته ومشاعره.

ومن الطريف أن يكون للشاعرة "جميلة العلا يلي " قصيدة تحمل عنوان "عتاب " وهو نفس عنوان قصيدة الشاعرة "منيرة " وهي تتفق مع قصيدة الأخيرة في روحها ومضمونها واتجاهها النفسي، فكل من القصيدتين تتحدث عن مجافاة الحبيب وهجره وصده، والتساؤل في دهشة واستنكار عن أسباب ذلك، لكن الفرق بينهما أن الشاعرة "جميلة العلا يلي صدرت قصيدتها بمقدمة نثرية تزعم فيها أنها تترجم عن عواطف فتاة غيرها مما جعلها كما يقول الدكتور محمد مندور –

(١)انظر قصيدتها:الحمد لله ص ٧٢.

لاتصل إلى قمة الفن المرهف، وإن كنت أرى أنها عبرت عن وجدان صادق وعاطفة جياشة وإحساس مرهف، وإن زعمت أنها تترجم عن عواطف غيرها، ولعل البيئة والنشأة كانتا سببا لهذا التصرف [١]. ولننظر إلى هذا الإحساس في قصيدتها "عتاب "بعد أن قدمت لها بمقدمة نثرية:[٢]

أترى نسيت عواطفي يا هاجـــر أترى صددت عن الهوى يا شاعر
كيف انكفأت إلى مغان جـــمة ونسيت حظي في الجمال الزاهر
كيف انثنيت إلى الرياض لتجتني زاهـــرا يرف بغير روح عاطر
ونسيت أن الروض يكنفه الأســى ونســـيت أن الحب ليس لحاذر
ونسيت من وهبت إليك فؤادها ونسيت من ركـبت إليك مخاطر
ونسيت من بذلت إليك ودادها ونسيت وجـدي والجوى يا هاجر
أبدا يناجـيك الفـؤاد ولـيت يجد العزاء عن الحبيب الشاعر.

فهذا الإحساس الرقيق وذلك الوجدان الصادق وتلك العاطفة الصادقة الموجودة في هذه الأبيات تنسي القارئ تلك المقدمة النثرية للقصيدة ، ويبقى هذا الإحساس المرهف الذي لا يشك أحد فى أنها تعبر عن نفسها ووجدانها من خلاله.

وهكذا استطاعت الشاعرة "منيرة توفيق " أن تصور مشاعرها وأحاسيسها وعاطفتها الوجدانية، من خلال تجارب حقيقية عايشت جزئياتها معايشة حقيقية، فكان ذلك سببا وحافزا، في التعبير بصراحة ووضوح عن أول ملمح من ملامح التيار الوجداني وهو عاطفة الحب.

(١)أنظر الشعر المصري بعد شوقي،٦١.
(٢)السابق،٥٥,٥٦.

المحور الثاني: الطبيعة. ليس من شك في أن الطبيعة بنوعيها الحية والصامتة، عنصر هام في الشعر العربي قديمه وحديثه، فالشعر العربي القديم زاخر بهذا اللون من شعر الطبيعة، من لدن العصر الجاهلي وحتى العصر العباسي وما تلاه من عصور إلى العصر الحديث، وكانت سمة هذا الشعر نابعة من طبيعة كل عصر من تلك العصور، ففي العصر الجاهلي كانت السمة الغالبة عليه هي السمة الوصفية الحسية، التي لا تخرج في معظمها عن وصف النوق والخيل من حيث أعضاؤها وسرعتها، وكذا وصف الفيافي وما بها من سباع ووحوش، وإلى غير ذلك من مظاهر الطبيعة في العصر الجاهلي.

ويتطور هذا الفن في العصور اللاحقة على العصر الجاهلي نظرا للتطور الحضاري الذي لحق تلك العصور، ففي العصر العباسي يصل شعر الطبيعة إلى درجة كبيرة من حيث المضمون و الشكل، فقد راح الشعراء يتغنون في وصف الطبيعة الجديدة من الورود والرياض النضرة والبرك، والقصور، حتى أن بعض الشعراء اشتهر بهذا الفن مثل "الصنوبري" شاعر النورية وابن الرومي شاعر الطبيعة، وغيرهما من الشعراء في هذا العصر، لكن لم تكن السمة الغالبة عليه هي الحسية المطلقة، وإنما كان هناك تداخلٌ بين الشاعر والطبيعة، بمعنى أن الشاعر يدمج بين وصف المرأة ووصف الطبيعة، ويزاوج بينهما، بل كان إذا أراد أن يصف المرأة أسبغ عليها من أوصاف الطبيعة ما يناسبها، وكذا العكس، وكل ذلك راجع لمزاجه وحالته النفسية. فالطبيعة في العصر العباسي وظفت توظيفا جديدا يختلف عما كانت عليه في العصر الجاهلي.

ثم يأتي العصر الحديث فتأخذ الطبيعة في الشعر منحى جديدا، حيث أصبحت مصدر إبداع وإلهام فنيين للشعراء وملجأ يلتجئون إليه عندما تضيق بهم السبل، ويضيقون ذرعا بالحياة [1]. فقد راحوا يجسدونها ويشخصونها، فهي –

(١)موازنة بين شعراء المهجر الشمالي وجماعة أبو للو،ص،١٨٣.

تارة– أم رءوم يجدون بين أحضانها الحنان والعطف، وينسون هناك واقعهم المر وحياتهم الشقية، وعالمهم الغريب، وهي القوة الجبارة –تارة أخرى– التي يرتمون في رحابها، فيمتزجون بها ويتناجون معها، ويتضرعون إليها لتخفف من آلامهم وعذابهم المضني، وبخاصة عند الشعراء الرومانسيين أمثال:شعراء جماعة أبوللو، والمهجر، ممن تأثروا بالرومانسيين الغربيين في هذا الجانب وحذوا حذوهم إلى أبعد مدى .(١)

وإذا أنعمنا النظر في شعر الشاعرة " منيرة توفيق " وبخاصة في شعرها الوجداني، والذي تعد الطبيعة محورا من محاوره، نجد أنها وقفت إزاء الطبيعة وقفات تنبئ عن صفاء نفسها واستجابة روحها الشاعرة لما تقع عليه عينها من مباهج الطبيعة ومشاهدها الخلابة، ففي قصيدتها " الربيع "ترسم الشاعرة بوجدانها وريشتها صورة الربيع وما خلعه على الدنيا من جمال وروعة وبهاء، فالأزهار قد تفتحت بقدومه، وتساجلت الطيور فوق الربى بهجة بحلوله، وعم الوجود أنواره وأضواؤه، وصفا هواؤه في آصاله وأسحاره، وداعب النسيم الرياض فتمايلت أغصانه، وتفتح لقطرات الندى نواره، وبين تلك الرياض تسير المياه الرقراقة في الجداول صباحا ومساء، وتفوح الرائحة الشذية من الرياض الباسمات ذات البهجة والجمال.

وربطت الشاعرة كل هذه المناظر الخلابة وتلك المشاهد المبهجة بصفاء قلبها، وانسجام مزاجها، مما أدى إلى هذا التجاوب بينها وبين تلك المشاهد التي صورتها بهذه الصورة الجميلة التي تعد انعكاسا لما في نفسها من راحة وسرور، وبأسلوب عذب رقيق تعبر الشاعرة عن ذلك فتقول: (٢)

هذا الربيع تفتحت أزهـــــــاره وتساجلت فوق الربى أطياره

(١)أنظر السابق،١٨٤.
(٢)ديوانها ٥٩.

ملأ الوجود بهاؤه وتألقت ... أضواؤه وترنمت أشعاره
أمن النهار به فطال بهاؤه ... لما تعادل ليله ونهاره
شهدت بصفو هوائه آصاله ... وتحدثت عن طيبه أسحاره
وهفا النسيم إلى الرياض مداعبا ... غصنا تفتح للندى نواره
يهتز في كف النسيم كأنه ... ثمل تمشت في العظام عقاره
والجدول الرقراق فاض لجينه ... صبحا وسال لدى الأصيل نضاره
تلك الرياض الباسمات غدت له ... سفرا تفوح بعطره أسفاره
بهر العيون ببهجة لما حكى ... صفو الفؤاد تجاوبت أوتاره
قد رق في وادي الحنان نسيمه ... وتبسمت بدلالها أبكاره
من كل فاغية ينقطها الندى ... والصبح مؤتلق بدت أسراره

والشاعرة لا تملك إلا أن تقدم التحية لهذا الربيع، الذي كسا الربوع بألوانه الجذابة، التي نشرها على الأرض، وتحركت لجماله وبهائه أوتار قلبها، فهب من إغفائه فرحا مسرورا.

ثم تعبر الشاعرة عن وجدانها وخاطرها وعما تكتنه في قلبها من مشاعر وأحاسيس، فترى أن أشعارها تشبه الربيع في جماله وقوة أسره، وإذا كان الربيع يأتي مرة كل عام بمباهجه ومفاتنه، فإن شعرها يحيي المفاتن ويظهر الجمال ليل نهار، بل إنها تتخذ من مفاتن الربيع شعارا لها في أشعارها في كل وقت وآن. ولننظر إليها تعبر عن تلك الخواطر الوجدانية التي حركها الربيع في فؤادها فراحت تصدح بها كالطير على الأغصان المزدهرة: [1]

شاق الفؤاد فهب من إغفائه ... وتحركت صداحة أوتاره
فأصخ لقلب شاعر مترنم ... تسبي الخواطر والنهى أشعاره

(١)السابق، ٦٠.

لم أدر فنا مثله متجددا ... يحيي المفاتن ليله ونهاره
والكون يملأ بالمباهج عينه ... إن المفاتن للربيع شعاره
زمن الوضاءة والصفا وبهجة الأ ... لباب عاد إلى الربى سماره
ماذا أشاهد غير ريشة راسم ... يبقى على طول المدى تذكاره
الأرض لوحته يصور فوقها ... أمل الزمان فتنقضي أوطاره
هذا نشيد الشعر يسخر دونه ... وتضيق عن إبداعه أشعاره
الطير بالألحان أسكره الهوى ... إني أراهن أن يقر قراره
رق النسيم ورق كل مفوه ... ضم السنا فتألقت أنواره
طلق ضحوك لا يضن بسحره ... ومسابح الأفلاك هن مداره

وفي قصيدتها (عيد الربيع) تصور الشاعرة مشهدا من مشاهد الجمال الذي يكسبه الربيع ويخلعه على الطبيعة، فتلبسها الشاعرة ثوبا فنيا راقيا، يجعلك تنفعل معه وتتأثر به، وتقتنع في النهاية أنه ليس مجرد وصف للربيع ومظاهره الجميلة، بل تجربة وومضة حديثة، تأثرت بها الشاعرة وانفعلت لها، و هذا ما يسميه النقاد التجربة المحدودة. (١)

ولننظر لنرى كيف استطاعت الشاعرة التعبير عن هذا المشهد، في صور ترتكز على التجسيد والتشخيص، حيث تقول: (٢)

خلع الربيع عذاره ... فتورد الزهر الخجول
وبدا على الورد الندى ... في نضرة الخد الأسيل
فتعطرت بعبيره ... أرجاء وادينا الظليل
وتوشحت بوشاح بهجته ... الحدائق والحقول

(١)التصوير الشعري، د/ عدنان حسين قاسم، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع ليبيا الطبعة الأولى،١٩٨ ص١٣.
(٢)ديوانها، ٦٩، ٧٠.

فهنا البساط السندسي وهناك أغصان تميل
ووراءه زهر المنى وجميع خيرات الحقول
وعلى المغاني بهجة يختال فيها "جبرئيل"
وتسبح المولى على إنعامه الوافي الجزيل
واليوم قد يعلو الهديل للورق في الثغر الجميل
في مهرجان للربيـــــع الغض يذكى ما ينيل
وعلى رمال الشط نلهو في الصبـــاح وفي الأصيل

ولما كان منٍ الضروري أن يدرك الشاعر ببصيرته النافذه، ونظرته الحادة كنه الأشياء وعوامل الصلة بينها فإن بإمكانه أن يظهر تناقضاتها متوافقة، وكذلك من خلال تجربته الشعورية التي تمكنه من أن يرى جواهر الأشياء وأن يتجاوز مظاهرها الخارجية، وهي التي تسوغ مثل هذا الربط الغريب، والبعيد بين الظواهر المتباعدة، بالقدر الذي يربط الشاعر بالمتلقي، أو بالقدر الذي يسمح بالانتقال من ظاهرة إلى أخرى ، والربط بينهما برباط دقيق، قائم على الأدوات الفنية التي يتخيرها الشاعر بمهارة لتكون ثوبا لتلك التجربة الشعورية.

ومن هذا المنطلق استطاعت الشاعرة أن تصور لنا مشهدا من الطبيعة، جمعت بين جزيئاته بمهارة فائقة، مما يدل على تعايشها و تركيزها الوجداني، هذا المشهد هو: صورة النيل والقمر وجبل المقطم معا في وقت واحد، ففي ليلة مقمرة استطاعت الشاعرة أن تصور بإحساسها هذا المشهد التي ربطت بين أجزائه بمهارة فنية، ودقة عالية، تثير ذهن المتلقي، وتنال إعجابه. ولننظر كيف صورت الشاعرة هذا المشهد: [1]

لله ما أبهى و أبهج منظر النـيل السعيد بمائه الرقراق

(١) ديوانها ٥٠.

يتدفق القمر المنير أشعة ... من ضوئه المتألق البراق
كضياء مرآة ورقة كوثر ... في حسن تصوير وعذب مذاق
أهدت إليه يد السماء نجومها ... حتى تبدي فتنة الأحداق
فإذا بدا وجه الغزالة خلته ... من عسجد يزهو لدى الإشراق
يعنو له طود المقطم خاشعا ... في ذلة تدعو إلى الإشفاق
يا أيها العاتي المعمر ما الذي ... أشقاك فاستسلمت للإطراق
مثل المحب وقد جفاه حبيبه ... فبدت عليه مذلة العشاق
تتلألأ الأضواء في أمواجه ... تحكي مع الهجران طيب عناق
تمضي وتذهب في جلال رائع ... وتعود تشكو من جوى الأشواق
لعبت به كف الصبابة والهوى ... طورا بصد قاتل وتلاق

والمدقق في هذه الصورة يجد أن الشاعرة استطاعت بإحساسها وشاعريتها أن تجمع بين مناظر عدة، وربطت بينها رباطا دقيقا ارتكز على الخيال و الاستعارة والتشبيه، فالقمر (يتدفق)أشعة مضيئة متألقة براقة، تشبيه ضياء المرآة الصافية في شكلها وبريقها وحسنها، ويزداد إحساسها رقة، فتستشعر عذوبة مذاق تلك الأضواء القمرية، ثم تربط هذه الأشعة المتدفقة تدفق الماء من المكان العالي، بمياه النيل الرقراقة الصافية، والتي عكست هذه الأشعة، فضلا عن تلك النجوم التي قدمتها يد السماء إلى النيل فزاد بهاؤه وجماله.

كما جمعت في تلك الصورة جزئية أخرى من جزيئات الطبيعة هي جميلة بذاتها، وهي تلك الغزالة التي اكتسى وجهها من نور القمر العسجدي.

وفي ركن من أركان الصورة تشخص الشاعرة جبل المقطم، وقد انسكب عليه ضوء القمر، وهو في حالة من الخشوع والذلة تشبه حالة المحب وقد جفاه حبيبه.

والمدهش أن الشاعرة ربطت هذا المشهد (القمر والنيل وجبل المقطم) بما في داخلها من أحاسيس و مشاعر، في صورة حركية رائعة، فأضواء القمر المتلألئة في أمواج النيل الهادئة تحكي عناقا طيبا بين حبيبين التقيا بعد هجران، ولنا أن نتخيل حركة هذا العناق، ومدى الصلة بين حركة الأمواج والأضواء المتدفقة عليها وما يدور في نفس الشاعرة.

ثم ننظر إلى تلك الحالة النفسية التي أكسبتها الشاعرة لتلك الأمواج، فهي تشخص الأمواج وهي ذاهبة في حالة من الجلال والروعة والمهابة، ثم تعود لتشكو من جوى الأشواق، وهذه بلا شك حالة الشاعرة، وما أثير في داخلها من المشاعر والأحاسيس، والتي ربطت بينها وبين هذا المنظر من الطبيعة، شأن الشعراء الرومانسيين الذين يخلعون على الطبيعة أحاسيسهم ومشاعرهم، أيا كان لونها.

والملحوظ هنا في هذا المحور أنه جاء في قصائد مستقلة، ولم يأت في ثنايا الأغراض الأخرى إلا قليلا، [1] وهذا يدل على اهتمام الشاعرة بهذا الجانب، ومدى تأثرها بمظاهر الطبيعة الخلابة، وتعبيرها عن وجدانها الصادق ومشاعرها الرقيقة، أما الأسلوب فقد جاء عذبا رقيقا يثير في النفس الإعجاب ويدعو إلى التأمل، وهذه ثمره من ثمرات الخيال الخصب الذي يوحي بترجمة المظاهر الطبيعية في صورة أشياء منظومة وترانيم حية، يتجاوب معها الشاعر وينفعل لها، [2] وتجد صدى وميولا لدى المتلقي.

المحور الثالث: الشكوى.

(١)مثل قصيدة (في مهرجان الطفولة) فقد بدأتها بوصف الزهور، وشدو الطيور، وقصيدتها (وداع) وفيها تربط بين جمال ابنتها وبعض مظاهر الطبيعة، وقصيدة (رأس البر) حيث تقدم لها بمقدمة رائعة في وصف الشمس وقت الزوال والبحر بأمواجه ومده وجذره.

(٢)أنظر في النقد الأدبي، د/السعيد الورقي دار المعرفة الجامعية ٢٠٠٠ ص٢٢

إن المضامين التي يحتويها أي أثر فني مهما يكن نوع هذه المضامين ، وسواء أكان هذا المضمون فكرا أم فلسفة أم أخلاقا أم موقفا نفسيا أم عاطفيا فلا يمكن أن يحتوي على قيمة في ذاته، إلا إذا استطاع الفنان أو الشاعر مزج كل هذه المضامين وصهرها وتحويلها إلى مادة جديدة وإلى عمل فني يكون دليلا على تفوقه وقدراته الفنية(١).

وتتحدد درجة النضج في الإبداع الشعري خاصة بما يملكه الشاعر من إمكانيات ذاتية وموضوعية، وعلى قدر مواءمة الشاعر بين تجربته الإنسانية وبين صياغتها فنيا يكون نجاحه.

كما تعد العاطفة المصاحبة للتجربة التي يخوضها الشاعر البئر العميقة التي ينهل منها الخيال ويتغذى على ربيعها، وحين يعظم هذا الخيال يقوم بتنظيم تلك الجزيئات من الأحداث والمواقف والمشاهدات، بل يعيد تنظيمها بشكل تبرز معه قدرة الشاعر على خلق أو إبداع كيان فني متفرد، يستمد جزيئاته من ذاته أو من الواقع. (٢)

ومن التجارب التي خاضتها الشاعرة " منيرة توفيق "وأبدعت فيها أيما إبداع، وتفردت في معالجتها بشكل كبير تجربة الشكوى، حيث أفرغت فيها وجدانها و أحاسيسها المفعمة بكل ألوان الشكوى.

والشكوى لا تنبع إلا من الذات المعذبة، ولا تخرج إلا من النفس المكلومة، التي تحس وتتألم وتشعر، مهما كان باعث الشكوى ودافعها، وهذا ما أقره النقاد من أن الشاعر يعبر في تجربته عما هو مكنون في نفسه من صراع

(١)انظر قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، د/محمد زكى العشماوي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ٢٠٠٠ م، ص٣٢.

(٢)انظر التصوير الشعري للتجربة الشعورية، ٢٥ وانظر، في الأدب والنقد الأدبي د/ السعيد الورقي، ص٢٢.

داخلي سواء أكان تعبيرا عن حالة من حالات نفسه أم هو عن موقف إنساني عام تمثله وصادف حالة نفسية عنده، فعندئذ يكون التعبير صادقا ومؤثرا. (١)

ويقرر علماء النفس أنه إذا وقعت للشخص تجربة تمس أعماقه وكان لها نفس الدلالة التي كانت لتجربة قديمة مترسبة في أعماقه، فإن آثار هذه التجربة الجديدة تلتقي بآثار التجربة القديمة، ويؤثر هذا في دلالة التجربة الجديدة، ويحدث ما يسميه بعض الشعراء (دوامة) تبعث فيها المواقف الماضية وتختلط بآثار الموقف الحاضر. (٢)

وهذا معناه أن الشكوى إما أن تكون بسبب ما وقع على الشاعر ممن حوله، سواء من الأقارب أو الأصدقاء أو رؤسائه أو من الوشاة و الحاقدين، وإما أن تكون نابعة من داخله بسبب فشله فيما كان ينشده لنفسه من نجاح وتفوق، أو بسبب خيبة أمله فيمن كان يؤمل عليهم بعض الآمال، أو بسبب مرض أصابه وألم به، أو حب أخفق فيه، أو شيب حل به، إلى آخر ما يعتري الإنسان مما يثير في نفسه الألم، ويدفعه إلى الأنين والشكوى تنفيسا عن نفسه وقلبه.

وبالنظر في شعر "منيرة توفيق " نجد الشكوى قد احتلت مكانا كبيرا في أشعارها، وسرى فيها تيار يعبر عن الألم، ويضج بالشكوى، وينفس عن الرغبات المكبوتة، ويفشي الدواعي والأسباب، في أنات خالصة صادقة، فضلا عن الأسلوب الرائع والديباجة الجيدة والصياغة الرصينة، وهذا ملمح من ملامح الرومانسية أو التيار الوجداني، فيه تعبير عن النفس والذات بكل ما فيها من مشاعر وأحاسيس.

وقد تعددت ملامح الشكوى ومضامينها عند الشاعرة، فنراها تشكو من الهموم والأحزان، وتشكو من فراق الأحبة، وكذا من الحب والجوى وصد

(١)انظر النقد الأدبي الحديث، د/محمد غنيمي هلال،دار الثقافة – بيروت ص ٣٨٣.
(٢)أنظر الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة، د/ مصطفى سويف، ط٤، دار المعارف ص٢٨١.

المحبوب، وتشكو كذلك من ذهاب الشباب وحلول الشيب، ونزول المرض، وكذا الشكوى من الدنيا والحياة عامة، ومن الصواب أن نتملى أمارات هذه الشكوى، ونقف على أهم مضامينها وملامحها.

أولا: الشكوى من فراق الأحبة. آثرنا البداية بهذا النوع من الشكوى لكثرتها عند الشاعرة بصورة لافتة للنظر، فقد تعرضت لمحن كبيرة وكثيرة من فقد أحبتها وأقربائها حتى غدت شاكية باكية ليلا ونهارا، لدرجة رأت معها أنها تشبه الخنساء التي ملأت الدنيا عويلا وصراخا على أخيها صخر، لكن شاعرتنا كانت أكثر ابتلاء من الخنساء، فقد فقدت أباها وأمها وأخاها في عام واحد، مما جعلها في حالة من الشكوى والأنين والحزن الممض، ففي قصيدتها (أماه يا فخر النساء) تجأر بشكواها ومما أصابها من هم وحزن بفراق أحبتها، فتقول: (١)

الدهر أورثني الضنى	**والدمع أسرف في انسجام**
ولكم صبرت على الأذى	**ولكم أصابتني سهام**
ورأيت أهوالا تشيب	**الطفل من قبل الفطام**
ويلاه من يوم النوى	**وفجيعة الموت الزؤام**
بين الشقيق لعامه	**وأبي وأمي نصف عام**
فغدوت كالخنساء أبكي	**في التيـــقظ والمنـــام**
أبكي ثلاثتـــهم ونـــار	**الحزن تمعن في اضطرام**
أبـكي الشهامة والوفا	**والحب والشيم الكرام (٢)**
وكما بكت "صخر الندى"	**بطل المعامع والصدام**
أبكي أخي فخر الشباب	**وطلعة البدر التمام**

(١)ديوانها، ١٥٤، ١٥٥.
(٢)المقصود هنا أبوها.

أبكي على البطل الكريم النابه الشهم الهمام
أبكي الرءوم حبيبتي ذات التقى والاحتشام
ذهبت ضحية حزنها المضني وآلام جســـام
لم تترك الأحزان منها غير قبري العظام

وبعد أن أظهرت لوعتها وحزنها على فقد ذويها وأقرب أهلها إليها، راحت تظهر أثر البلوى عليها، وتتساءل إلى متى يعصرها الأسى والذل والبلوى ؟ وفي نبرة عالية وضيق شديد، تقسم بجلال الله العظيم وحرمة بيته الحرام، وبقدر المصطفى صلى الله عليه وسلم – أنها سئمت الحياة وهامت بالموت، حين رأت الدنيا ظلاما، وقد خلت من أحبائها، ففقدت بفقدهم الصداقة والوفاء والمحبة والسلام، وبأسلوب يظهر منه اللوعة والأسى تعبر الشاعرة فتقول:

يا دهر يكفي ما جرى ماذا تروم وما المرام
ولكم ضويت من الضنى ولكم أصابتني سهام
فإلام يعصرني الأسى والذل والبلوى إلام
قسما بعزة ذي الجلا ل وحرمة البيت الحرام
وبسيد الكونين طه المصطفى خير الأنام
إني سئمت من الحياة وهمت بالموت الزؤام
لم يبق من أمل لدي سوى وميض في الظلام
أين الصداقة والوفا ؟ أين المحبة والسلام؟

وينبغي أن نشير هنا إلى أن هذا اللون من الشعر معروف بالرثاء، وهو التفجع على المتوفى وإظهار شمائله وخصاله الحميدة، لكن الشاعرة هنا غلفت هذا الرثاء وذلك التفجع بالشكوى من نزول الهموم بساحتها حتى تركتها نهبا للأمراض والأسقام، هذا أمر، أما الأمر الآخر هو أن شعر الرثاء عندما يختلط

بالوجدان فإن ذلك الوجدان يهتز بقدر العلاقة التي بين الشاعر وبين من يرثيه، عندئذ يكون الشجن والألم والشكوى، ولا يوجد أقرب للإنسان من أبيه وأمه.

وإذا كانت في قصيدتها السابقة (أمي) قد تفجعت على فقد أمها، وجمعت معها أباها و أخاها، فإن هذا لا يمنعها من نظم قصيدة بعنوان (أبي) تتفجع فيها على فقد والدها، الذي لقي ربه بعد وفاة وحيده بعامين [١]، والقصيدة تعلوها نبرة الأسى والحزن، وتلفها الشكوى من فقد أعز الناس إليها وأحبهم إلى قلبها، ولنستمع إليها تصور مصابها وتشكو آلامها: [٢]

اليوم قد حلت بسا حتنا الكوارث والكروب
اليوم قد نزلت بنا أعتى المصائب والخطوب
وتحجبت شمس السماء وسارعت ريح الجنوب[٣]
يا والدي عز اللقاء اليوم في الروع العصيب
يا والدي خلفتنا لنوائب الدهر اللعوب
ستظل نارك في الحشا مشبوبة أقسى شبوب

وبعد أن أظهرت لوعتها وفجيعتها بفقد والدها، بهذا الأسلوب الذي يثير في النفس الشجن والأسى، تروح تعدد صفاته الحميدة، وشمائله الجليلة، وما أصابه من أمراض وأسقام من جراء فقد وحيده، حتى غدا نهبا للمنون الذي لا مهرب ولا مفر منه، لكنها سرعان ما تعود إلى الشكوى من هذا الموت الذي هجم على ساحتهم كأنه ليث هصور، لم يدع لهم فرصة يلتقطون فيها أنفاسهم، أو يكفكفون دموعهم، وأخذ يلتقط أحبابها واحدا تلو الآخر، دون هدنة أو روية،

(١)كان ذلك عام ١٩٣١ م، وكان والدها آنذاك حكمدارًا للشرقية سابقا.
(٢)ديوانها، ١٥٢، ١٥٣.
(٣)ريح الجنوب، رياح ساخنة تهب محملة بالعجاج والأتربة وهي تشير إلى أن الجو أصبح في نظرها متعكرا بفقد والدها.

ولنستمع إلى هذه الشكوى المريرة، المنبعثة من نفس مكلومة وقلب مثقل بالهموم والأحزان، حيث تقول:

يا عين جودي بالدمو ع ولا تكفي عن نضوب
إني أرى ريب المنون غدا بساحتنا يجوب (١)
وكأنه الليث الهصور وقد تحفز للوثوب
يا موت حسبك ما جرى ماذا أتينا من ذنوب
يا موت إنا لم نكد من هول ما أشجى نشوب (٢)
يا موت ويحك ما تروم أذبت حبات القلوب
يا موت هذا غوثنا لبى ضحى سؤل الطنوب (٣)
يا موت ويحك من إليه في مآزقنا نؤوب
يا موت إنا نفتديه ونتقي عنه الخطوب
قد كان أكرم والد يحنو إذا قست القلوب
هذا وقد حل القضا والبدر أدركه الغروب
وأتى بنعي "المصطفى" رسل الفجيعة و النجوب
سر يا أبي للخلد و استأنس بمولاك الحبيب

وهكذا نرى تفجع الشاعرة على رحيل والدها، وشكواها مما نزل بها من هم وحزن بفقد ذلك الوالد الحنون، ولا يخفي ما في الأسلوب من أساليب مؤثرة ومعبرة

(١)في الأصل ويب، وهي كلمة مثل ويل، وتعني الحسرة والألم، وإن كنت أرى أنها ريب المنون أصح.
(٢)نشوب،نشب في الشيء إذا وقع فيما لا مخلص له منه. وعلى ذلك يكون المعنى:أننا لم نكد نخلص من هول ما أحزننا.
(٣)الطُنوب و الطنب: حبل الخباء، ولعل المقصود هنا أنه استجاب لأمر الموت القوي الذي يشبه الحبل القوي الذي لا مفر منه .

وموحية، تثير في النفس الشجن والحزن، ومن ذلك قولها " يا موت " مكررة ست مرات متتالية، فكأنها بهذا الأسلوب تستعطف الموت أن يرفع يده عن أقاربها وأهلها، وكأنها ترى أن هذا الموت هو جزاء ذنب ارتكبوه، وهذا غير صحيح، فالموت لا علاقة له بهذا، لكنها من شدة الهول تنفس عن نفسها بهذه الزفرات الملتهبة، وهي في النهاية تذعن لأمر القضاء الذي لا مفر منه ولا مهرب.

وللشاعرة قصائد باكية شاكية في وفاة أخيها الوحيد، وكذا أختها، ففي قصيدتها " أخي توفيق " تعلن عن أساها وحزنها ولوعتها لفقد أخيها الوحيد، وبأسلوب يثير في النفس الأسى والألم، تقول بعد أن قدمت الشكوى من الدهر، وما فعله بها من محاربة ونزال ومخاصمة: (١)

ولكم صبرت عليك صبر مغامر ... لا يرتجي أمنا وأنت خئون
يا دهر ويحك قد طعنت حشاشتي ... بسلاح غدر نصله مسنون
وأتيت بالموت الرؤام مفاجئا ... فقضي وروع كنزنا المكنون
فتغيبت بعد التآلف أنجم ... والبدر بالضوء المبين ضنين
وتحجبت شمس الضحى يوم النوى ... تبكى الشباب الغض وهو دفين
هلا رثيت لصبية لم يعرفوا ... موتا ولا صدر هناك حنون

****

" توفيق" لو تفدى لكان فداك ... قلب قد شجاه إلى لقاك حنين
لم أدر يوم نواك أين تجلدي ... والصبر والسلوان كيف يكون
بكت السماء عليك مدرارا وما ... إن جف دمع في المسيل هتون
قد كنت لى في الحادثات مواسيا ... من بعد فقدك في الخطوب معين ؟
أسفي على العلم الغزير وقد غدا ... أشلاء وهو لدى التراب رهين

(١)ديوانها ص١٥٠.

الموت غاية كل حي إنما	فقد الشباب له الجماد يلين
وكأنني الخنساء حين رثائها	ولها على "صخر" أسى وأنين
أبكيك يا نعم الشقيق بحرقة	حتى يلوح من الخلود يقين
الموت يجمعنا فهذي غايتي	كل الحياة لدي بعدك دون

فالشاعرة – كما نرى – ولهة حزينة لفقد أخيها، لدرجة تمنت فيها الموت، إذ لا ترى للحياة مزية أو قيمة بعد فقده.

وعلى الدرجة نفسها من الإحساس والعاطفة الجياشة الشاكية من فقد الأحبة تسير الشاعرة في قصيدتها " وا أختاه " والتي تشكو فيها شكاية مرة، وتزفر فيها زفرات حارة، معلنة حزنها وألمها على فقد أختها، التي خلفت أولادا تسيل دموعهم بكاء على أمهم، ربيبة الخدر المصون، وذات القلب الحنون، التي كانت تلجأ إليها الشاعرة تشكو لها حزنها الدفين، لكن ما حيلتها والناس جميعهم في الحياة الدنيا رهن المنون، ومن ثم لا تملك لها إلا الدعاء الخالص بأن تكون في نعيم الخلد، وأن يجمعها الله بها في الفردوس الأعلى، وبأسلوب يغلب عليه الهدوء والحكمة والتسليم لأمر الله تعالى تقول: (١)

أختاه بعدك من ترى	يحنو على القلب الطعين
ومن التي أشكو لها	البر حاء والحزن الدفين
فالناس في هذى الحياة	ودائع رهن المنون
كل له أجل يوفاه	وللمولى شؤون
فإلى نعيم الخلد تحرسك	الملائك خاشعين
فهناك في خلد النعيم	رعاية للمتقين

(١)ديوانها، ١٥٨.

فإلى اللقا في جنة الفردوس والمولى ضمين

وللشاعرة في ذكرى وفاة أحبتها قصائد تقطر أسى، وتسيل حزنا، تشكو فيها وحدتها بعد رحيلهم وفراقهم، وما أصابها من جراء الحزن عليهم وتذكرهم، فلها ثلاث قصائد في ذكرى أخيها، واحدة في الذكرى الأولى واثنتان في الذكرى العاشرة، وكذا قصيدة في الذكرى الثلاثين لوفاة أبيها، وكل هذا يشير إلى أن الشاعرة عاشت حياتها يعتصر قلبها الحزن والأسى على فقد ذويها وأحبتها، مما جعلها تجأر بالشكوى وتبث الحزن. (١)

وقد ابتليت الشاعرة بفقد زوجها الأول بعد زواجها بأربعة أعوام، حيث اغتالته عصابة من الأشقياء ليلة عيد الأضحى في حديقة داره، فكان مصابا جللا على نفس الشاعرة وقلبها، حيث رأت مصرع دفئها الأسري وعزها الاجتماعي، وشريك حياتها، وعائل أولادها مضرجا بدمائه، ولا تملك له من أمر الله شيئا، فامتلأ قلبها الغض ألما وحزنا على فقد شريك الحياة، فراحت تنفث شكواها وحزنها، والألم الدفين يعتصر ذلك القلب المكلوم الموجع بهذا الحدث الجلل، ففي قصيدتها " الزوج الشهيد " تعبر الشاعرة عن هذا المصاب بأسلوب يقطر أسى ويسيل ألما، فتقول: (٢)

قد كنت في غفلة الأيام سالية خلواً من الهم والآلام والفكر
وكان زوجي ضياء الدهر في نظري أبهى من النيرين الشمس والقمر
شهم أبيٌ عفيف النفس معترف بفضله كل عالي النفس مقتدر
فما رأت عين إنسان شمائله بين الشبيبة من بدو ومن حضر

(١)انظر قصائدها: ذكريات والذكرى الثلاثون وأبكي صباك والذكرى العاشرة وذكرى في ظلال فيشا ٠ وهي قصائد تعلو فيها نبرة الحزن والأسى والشكاية المرة لفقد الأهل والأحباب.
(٢)ديوانها، ١٤٨.

وبعد أن بينت قدره وشمائله وخصاله راحت تقص مأساته، وما حدث له على أيدي أولئك الجناة الآثمين، وأثر كل ذلك على قلبها، فتقول:

ما كنت آمل أن الدهر يفجعني — بمن أراه على الأيام مدخري
جنوا عليه وجنح الليل معتكر — وشدة الحرص لا تنجي من القدر
يا قوم هلا رحمتم ذخر عائلة — لم يجن ذنبا ولم يعمد إلى ضرر

جرعتموه كؤوس الموت مترعة — مساء وقفة عيد الحج للبشر
و الكل في لهفة يرجون أوبته — لكنه الموت يأتي غير منتظر
شلت يمين امرئ أودى بغفلته — ليث الشرى غير مهتاج و لا ضجر
بطلقة أوردته الموت عن كثب — من كف محتجب بالليل مستتر

وبعد هذا المصير وتلك المأساة التي لم تكن تخطر على بال زوجته الشاعرة، راحت تشكو بثها وحزنها، وتستودع زوجها ومدخرها عند الله تعالى، وبأسلوب يعبر عن مدى حرقتها ولهفتها على زوجها وأطفالها الذين خلفهم لها تقول:

في ذمة الله نجم قد هوى حببا — بعد السمو يصفو منه منتشر
لهفي على غصنه يذوي لدى سحر — والغصن يزهر بالأنداء في السحر
مضى وخلف أطفالا تلاحقهم — خطوب حظ تعيس جلمد حجر
يا صرخة الموت كم قطعت من كبدي — ويا نذير الردى غاليت في الخطر
والله مابرحت أذناي سامعة — منه النداء وصوت الذعر والخطر
يا أيها القاتل السفاك سوف ترى — يوم الحساب عذاب الله في سقر
ويا شهيدا رأت عيناي مصرعه — إليك أزكي السلام الطيب العطر

في الخلد نم مطمئنا يا " لبيب " ففي سواد قلبي وفي سمعي وفي بصري (١)

وتتوالى الأحداث المأساوية في حياة الشاعرة، وتضيق عليها الخناق تجارب الحياة، فيموت زوجها الثاني بعد حقبة من الزمن، ظنت فيها أن الدهر صفا لها، لكن سرعان ما انقلب عليها، فيصحو وجدانها على ما في هذه التجربة من آلام وما في تلك الآلام من عمق، إذ أشد ما يؤلم المرأة ويحزنها هو فقد زوجها وترملها، وتيتم أولادها، وبخاصة شاعرتنا التي ذاقت مرارة هذا الألم في بداية حياتها، بموت زوجها الأول، مما جعل وجدانها الشجي يصحو على كم كبير من التجارب المؤلمة من موت أخيها وأبيها وأمها ثم زوجها الثاني اللواء " محمد ماهر رشدي " فتعلن الشاعرة عن شكواها وألمها وحزنها، في عاطفة حزينة ونفس أنهكتها كثرة الأحزان وفراق الأحباب، لكنها في الوقت نفسه راضية بقضاء الله وأمره الذي لا مفر منه، وهذا نحسه من قصيدتها " الراقدون " حيث تنعى زوجها ووالده وأخا زوجها، حيث جمعتهم مقبرة واحدة، فقالت: (٢)

مني السلام عليك يا قبر حوى جم الصلاح وقوة الإيمان
فيك انطوى كنز الفضائل والتقى وكذاك دوما من عليها فان
وافاك" رشدي" وهو عندك قد ثوى مستبشرا بالقرب للديَان
مستسلما للموت لاعن رهبة لكن بحق الواحد المنان
فالموت حق كائن ومصيرنا للموت فهو نهاية الإنسان
يا راقدا تحت الثرى مثواك في خلد النعيم وجنة الرضوان
يا صانع المعروف في طي الخفا نم مطمئنا في حمى وأمان
يهنيك ما قدمت في دنياك من بر ومن فضل ومن إحسان

(١)لبيب هو زوجها الأول، واسمه (لبيب محمد نوحي) الذي كان مديرًا لمديرية البحيرة آنذاك.
(٢)ديوانها ١٤٩.

ولها قصيدة بعنوان " في ذمة الله يا ماهر " تصف فيها صراع زوجها مع المرض حتى أذعن للأمر الذي لا مفر منه، كما تصور لهفتها وضياع رشدها بوفاته وفقد عائل أسرتها، تقول الشاعرة في هذه القصيدة: (١)

ذهب المهند والحسام	**وتحجب البدر التمام**
لهفي على الزوج الوفي	**وخير من يرعى الذمام**
يا "ماهر" لك في فؤادي	**كل حـــب واحتـــرام**
---	---
ذهب المصاب برشدنا	**فكأننا صرعى مدام**
قد هانت الأرزاء إلا	**فقد عائلنـــا الهمـــام**

والشاعرة كانت تتصف بالوفاء، فلم تنس أحبتها الذين قضوا من بين أيديها، فكانت دائمة الذكر لهم، فنظمت القصائد الحارة الشاكية في ذكرى وفاتهم، وكأنها تقول في هذا المضمون لأول مرة، حيث التوجع واللهفة والألم الدفين، فبعد سبع سنوات من وفاة زوجها الثاني "ماهر" تنظم قصيدة بعنوان "ذكراك يا ماهر" تشكو فيها لوعة قلبها وتوجعها، ونفاذ صبرها، وعجز الطب عن علاجها مما هي فيه من حزن وألم، ولننظر إلى هذا الأسلوب المعبر عن الوجدان المثير للشجن والآلام حيث تقول: (٢)

أيا ليلة الذكرى الكريمة خففي	**عن النفس ما أشكو وما أتوجع**
قدمت فأهلا بالقدوم ومرحـــبا	**فذكرك باق بيننا لا يضيع**
مضت سبعة عنا على فقد "ماهـــر"	**بها كم بكت عين وكم قض مضجع**
حنانيك ربي إن في القلب لوعـــة	**يضيق بها طول المدى وتروع**
حنانيك ربي إننا عقد أســـرة	**بكته فما أجدت لحون توقع**

(١)انظر القصيدة كاملة في ديوانها، ١٥٨: ١٦٠.
(٢)السابق، ١٦٦، ١٦٧.

حنانيك هل من بعد فقدان "ماهر" تطيب لنا الدنيا أو العيش ينفع
حنانيك هل مثلي يعذبها الأسى ويصنع فيها مثلما فيّ يصنع ؟
يمر نهاري في التألم والضنى فلا الصبر يلقاني ولا الطب ينفع
وأنشبت الأمراض في شباكها وعيشي من ريب المنية أفظع
فضاقت بي الدنيا على رحب صدرها ولم يبق في قوس التصبر منزع

وبعد هذه الشكوى وذلك الأنين، ترجع الشاعرة إلى الحقيقة التي لاشك فيها ولا ريب، وهي الموت الذي ما لأحد منه مناص أو مهرب فتلقي على زوجها السلام إلى أن يحين وقت اللقاء في الدار الآخرة. (١)

وبجانب الشكوى من فراق الأحبة والأهل، شكوى أخرى من فراق بعض أصدقائها والمقربين إليها، من الشخصيات الأدبية و الاجتماعية والسياسية، ولعل الطريف في هذه الشكوى أنها ربطت بينها وبين ما حدث لها، فكأنها امتداد للشكوى السابقة، بما فيها من إحساس صادق وعاطفة جياشة، وأسلوب ينم عن نفس شاعرة تعيش تجربتها، وتتأثر بجزيئاتها (٢).

ثانيا: الشكوى من صروف الدهر. وتتنوع الشكوى عند شاعرتنا نظرا لتنوع المكاره التي أصابتها ولحقت بها، والشكوى من الدهر وصروفه واحدة من تلك الشكايات التي كثرت عندها.

(١)انظر القصيدة ص ١٦٧.
(٢)انظر قصائدها في هذا الموضوع، دموع، زعيم الشباب، بكت عليه العلا،على زهرها الذاوي، رائدة الحركة النسائية، عليك الرحمة، يا مي ، جناح يتكسر، وكلها قصائد يغلب عليها الأنين والشكوى من فقد أولئك الأصدقاء والأحباب.

والشكوى من الدهر لاينبغي أن تكون شكوى لذاتها، إذ لا يجوز التشكي من الدهر والزمن، والإشارة بأصابع الاتهام إلى الدهر في كل ما يصيب الإنسان على أساس أنه المدبر الفعلي لكل المكاره التي تلحق بالإنسان، وإنما ينبغي أن تكون مما حدث فيه من ملمات، ووقع على الشاعر من محن جعلته يرفع عقيرته بالشكوى من الدهر وهو لا يقصده، وإنما يقصد صروفه وتقلباته.

ومن هذا المنطلق دارت الشكوى من تقلبات الدهر وصروفه على لسان الشاعرة "منيرة " دورانا كثيرا، وذلك لما أصابها من أحزان وهموم، لم تستطع بإحساسها الرقيق وعاطفتها النبيلة، ووجدانها المرهف أن تكتم مثل هذه الأوصاب مما جعلها تعلن عنها، وتنفس عن نفسها بالشكوى، ففي قصيدتها " من وحي الوجدان "نحس هذه الشكوى من صروف الدهر وأرزائه
والتي أثقلت كاهلها، وأذوت غصنها الرطيب، وشيبتها في غير أوان الشيب، وتحول عيشها صاباً وعلقماً، تقول الشاعرة مصورة هذا الإحساس وذلك الوجدان الرقيق. (١)

دهتني من الدهر الخؤون خطوب وحلت بيّ الأرزاء وهي ضروب
فيا د هربي رفقا فماليّ طاقة على حمل ما تأتي به و تنوب
رويدك قد أوهيت يا دهر عزمتي وأذويت غصن الجسم وهو رطيب
أناديك في الأرزاء علك راحم شجوني و مما قد جنيت تثــوب
بربك هل نامت مع الليل أعين وهل هدأت فوق المهاد جنـــوب
فقد حال همي بين جفني والكرى وما جف منه الدمع وهو سكوب
حياة بأحداث الزمان مليئة بها قد علاني في الشبـــاب مشـيب
وعيش مرير الطعم صاب وعلقم وأعذب منه في المذاق شـــعوب
فيا حادثات الدهر كفي وأقلعي رحماك فالقلـــب الشجي يذوب

(١)ديوانها، ٦١.

فهذه نفس عركتها الحياة، وأثقلتها الهموم والخطوب، ولم يعد لها في قوس التصبر منزع، فرأت في الموت راحة لها وهناءً لم تشبه كروب:

وما هذه الدنيا بدار سعادة إذا أقبلت يوما فسوف تذوب
فيا موت أقبل إن لي فيك راحة فريحك ريحان وعرفك طيَب
وفيك شفاء النفس من كل علة وفيك هناء لم تشبه كروب

وفي قصيدتها "شكوى" أنات حزينة وزفرات حارة، وشكاية مريرة، تذيب القلوب، وتثير الأشجان، وتحرك العواطف والأحاسيس، والجميل أنها تتوجه بهذه الشكوى إلى بارئها وخالقها طمعا ورغبة في تخفيف ألآمها وهمومها، فتقول في أسلوب يقطر ألما ويفيض أسى: (١)

إلهي لقد أوهى السقام تجلدي وقلبي مضني ساورته خطوب
وعفت حياة نغصتها كوارث ورمت ورود الموت وهو عصيب
فيا لهف نفسي ما أرى البين تاركي وخافق قلبي قد براه نحيب
فيا ويل جسمي كم من الضر والأذى يعاني ووجهي كم عراه شحوب
فلله أشكو ما ألاقي من الضنى ومن حادثات الدهر وهي لعوب
فيا حادثات الدهر كفي هنيهة ونحن ضرام القلب وهو شبوب
ورفقا بنفسي فالأذى قد أذابها وجسمي لا يدري شفاه طبيب
ويا رب جد بالعفو منك كرامة فأنت سميع للدعاء مجيب
وفي كل أمر ضيق أنت راحم وأنت من الداعي المنيب قريب

وكثيرًا ما تسمعنا الشاعرة أنات روحها وزفرات نفسها، وقد تكاثرت عليها الهموم والأحزان، ففي تجربة لطيفة وفريدة تخاطب فيها نفسها ذات الإحساس والوجدان الجريحين، فتتلهف عليها كثيرا مما ذاقت من مرارة الألم والحرمان

(١)السابق ٦٢.

ولواعج الأشجان، وتأمرها بالتجمل والتحمل عسى يغنيها ذلك عن أهل وعن خلان، كما تأمرها بعدم اليأس، فشأن الحياة تغيير وتبدل، وأن يكون الدين والإيمان في كل ذلك غناها وزادها، وأن تتوجه إلى الله راجية العون والمساعدة فهو نعم العون والسند، ولنستمع إلى هذه النغمات الرقيقة، والشكوى المبطنة بشيء من الصوفية والرضا حيث تقول في قصيدتها " نفسي ":[1]

لهفي عليك كثيرة الأشجان	**وجريحة الإحساس والوجدان**
هيجت فيَ عواطفا قد ساءها	**ما ذقت من كدر ومن حرمان**
لهفي على عين يؤرقها البكا	**ويجود مدمعها بأحمر قان**
لهفي عليك أسيفة ولهانة	**لم تلق من يحنو على الولهان**
لهفي على ما ذقت من ألم النوى	**ومرارة الحرمان والهجران**
فخذي التجمل والتحمل عدة	**تغنيك عن أهل وعن إخوان**
لا تيأسي إن النجاة قريبة	**شأن الحياة تبدل الحدثان**
الدين يغني عن ثراء وافر	**وعن الجمال الساحر الفتان**
والله أصدق من رجوت مساعدا	**والله نعم العون للإنسان**

وهكذا تسمعنا الشاعرة هذا الصوت الإنساني المشجي، النابع من أعماق وجدانها، والمعبر في حرارة وصدق عن ضروب همومها وأحزانها، وقد أدى لفظ " لهفي " المتكرر دوراً بارزًا في إظهار اللوعة والأسى، وكذا تعدد الهموم والأرزاء.

كما نلحظ في شكاية الشاعرة من صروف الدهر وتقلباته الرضا والاستسلام وعدم التبرم والسخط، فهي بعد أن تبسط شكاياتها، وتبث ألآمها ترجع سريعة إلى الله تعالى مستعينة به سائلة إياه التخفيف والصبر والعون، وإن كنا لمحنا في بعض شكاياتها تمني الموت، فليس هذا من باب التبرم وعدم الرضا، أو اليأس

(١)ديوانها ٦٣.

من الحياة، ولكنه تمنى من رأى في الموت خيرًا له من الحياة، وليس في هذا مخالفة شرعية أو شيئا يعكر صفاء الإيمان، أو يقدح في عقيدتها.

ثالثا: الشكوى من الهجر والصد. تحدثنا في المحور الأول للتيار الوجداني عند الشاعرة " منيرة توفيق " عن عاطفة الحب، ورأينا كيف استطاعت التعبير عن مشاعرها وأحاسيسها العاطفية، ووقفنا في نهاية هذا المحور على حقيقة واضحة هي أن التجارب التي عبرت عنها كانت تجارب حقيقية، وقعت في حياتها، لذا كانت بارعة وشجاعة، حيث عبرت عن جزيئات تلك التجارب في صدق وإخلاص، فعبرت عن حبها وعواطفها و إخلاصها لمحبوبها وبطل أحلامها، كما صورت موقف هذا الحبيب منها في صور متعددة، تعد هي مواقف الحياة بينهما. (١)

وهنا نكشف عن بعض ما تحتمله الشاعرة في سبيل هذا الحب، وتلك العاطفة، مثل الهجر والصد من محبوبها، وعدم الاكتراث بحبها وعاطفتها، مما جعلها تعاني من هذه التجربة المريرة على نفسها، والتي كدرت صفو حياتها، وأفاضت الأسى على قلبها، فراحت تطلق الصيحات والزفرات كاشفة عما أصابها من تبريح وألم وحسرة، ففي قصيدتها " جراح " تعلن عن تحرقها لما رماها به الدهر من الأسقام، ولما اجتاحها من فيض الأسى لما رأت عش هنائها يتمزق، ولما وجدته في إلفها من صد وهجر وخيانة لعهد ودادها، وبأسلوب قوي وعاطفة رقيقة تعبر الشاعرة عن تجربتها هذه بقولها: (٢)

" قُمْرية " الوادي شكت وتحرقت ... لما رماها الدهر بالأسقام (٣)

واجتاحها فيض الأسى لما رأت ... عش الهناء ممزقا بسهام

(١)راجع المحور الأول من هذا البحث.

(٢)ديوانها، ٦٥.

(٣)القمري ضرب من الحمام مطوق حسن الصوت، والأنثى قمرية، والجمع قماري وهي تقصد نفسها،أى مغنية الوادي وشاعرته.

فبكت أليفا خان عهد ودادها بعد الوفاء النادر البسام
زعموا له أن التنقل متعة فانقاد للأحكام والأوهام
ضل الهوى فتوجعت لضلاله وبكت بدمع كالسحاب الهامي
طوت الضلوع على المواجع والضنى وتخوفت من عاذل نمام
وأوت إلى الصبر الجميل وكفكفت من دمعها المتحدر المترامي
وتجلدت وتحملت أوصابها بعزيمة وتراجعت بنظام
ومضت تناجيه وبين جنبيها كبد مقرحة وقلب ظامي
يهفو إلى ورد الوفاء كما هفا زهر الرياض إلى الندى اللمام

ونلحظ هنا أن الشاعرة شكت من هجر زوجها وبعده، مما أثر على نفسها وقلبها وجسدها، كما أعلنت – كذلك– عن تحرقها واشتياقها لرجوعه ووده، كما تشتاق الزهور إلى قطرات الندى. وبهذا تكون قد جمعت بين الشكوى من البعد والتحرق والشوق إلى لقاء المحبوب.

وفي ملمح آخر تشكو الشاعرة من صده وعناده وجفوته وغلظته وتبرمه وسخطه، حتى اعتصرها الأسى والذل، فتقول شاكية ومصورة حالها مع قرينها: (١)

يا دهر يكفي ما جرى ماذا تروم وما المرام
هذا قريني قد غدا متبرما يشكو السقام
سخط الحياة أمضه واليأس أورثه احتدام
فغدا التبرم والجفا يثنيه عن لين الكلام
كل يعامل بالرضا وأنا أعنف أو ألام
ولكم ضويت من الضنى ولكم أصابتني سهام
فإلام يعصرني الأسى والذل والبلوى إلام

(١)ديوانها،١٥٥.

وهي حيال ذلك كله – وبعد أن تظهر أنها لا تستحق هذه الإهانة وتلك الجفوة – لا تملك إلا أن تتوجه إلى الله– سبحانه تعالى– ليخفف عنها ما ألم بها، فتقول: [1]

تـالله قـد نغصت صفو حياتـنا	**وتـركتنـا في وحشة وظلام**
وتـركت أفلاذا تـنوء بما رأت	**بعد الرضا من جفوة وخصام**
وأنـا التي ظلت طوال حياتها	**تحنو عليك وما خفرت ذمامي**
وأنـا التي ذهب الأسى بهنـائها	**ونـأيت عن بحر الشباب الطامي**
لم يبق لي بين الورى من حيلة	**إلا الركون لبـارىء الأنسام**
يـا نفس لا تهني ولا تتوجعي	**فالفجر يطلع بعد طول ظلام**

وهكذا تسمعنا الشاعرة صوت وجدانها الحزين، وأنين نفسها الجريحة، لكنها وعلى الرغم من ذلك تظهر مدى تضحيتها وقوتها بركونها إلى بارئ الأنام والخلائق، ولا يخفي ما في استخدام الضمير (أنا) والذي يستخدم عندما يريد الإنسان توكيد ذاته لمن يتجاهلها، [2] ولا يعرف قدرها، ففي استخدامها لهذا الضمير تأكيد لذاتها وتنبيه لزوجها المتجاهل قدرها والمعاند لها٠ كما نلمح في هذه الشكوى الأمل وعدم اليأس والتشاؤم، ولعل ذلك راجع إلى طبيعة الشاعرة وقوة إيمانها، ففي نهاية الشكوى غالبا – ما ترجع الأمر لله تعالى متعلقة بمنه وكرمه.

رابعا: الشكوى من المرض والشيب. من سنة الله وحكمته البالغة أنه جعل الإنسان معرضا لصنوف الابتلاءات و الامتحانات، سواء بالخير أو بالشر، وذلك ليتعرف الإنسان إلى نعم الله السابغة فيشكرها، ويؤمن بقضاء الله فيصبر عليه، فمن الناس من لا يعرف نعم الله إلا بعد زوالها، ومن ثم جاء الاختبار

(١)السابق، ٦٥.
(٢)انظر دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، د/ أحمد درويش / مكتبة الزهراء ص ١٦١.

بالشر والخير فتنه للإنسان، وتمحيصا لما في صدره، وقد ذكر "ابن كثير "في تفسير قول الله عز وجل: "ونبلوكم بالشر والخير فتنه وإلينا ترجعون ": أي نبلوكم بالمصائب تارة، وبالنعم تارة أخرى، فننظر من يشكر ومن يكفر، ومن يصبر ومن يقنط.

كما ذكر قول " ابن عباس " في هذه الآية، والذي يوضح فيه أن الابتلاء بالخير والشر يكون بالصحة والسقم والغنى والفقر، والحلال والحرام، والطاعة والمعصية والهدى والضلال [١].

ومن ثم ندرك أن المرض من صنوف الشر التي يبتلى بها الإنسان في نفسه، وقد ظهر ذلك واضحا في قوله تعالى: " **لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ**"[٢]. فالابتلاء في النفس يكون بالمرض الذي يصيب الإنسان، ويئن من ألمه وشدته، فلا يجد مفرًا من اللجوء إلى الله– تبارك وتعالى –شاكيا ما به من ضر وألم ليصرفه عنه [٣]. وقد ذكر القرآن الكريم نموذجا من هذه الشكوى على لسان نبي الله " أيوب " حينما نزل به المرض واشتد عليه الألم، يقول الله – تعالى – على لسان " أيوب " عليه السلام: " **وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ** "[٤]

وفي هذا إشارة إلى أنه يجوز للإنسان – إذا ما وقع عليه ضر – أن يلجأ إلى الله راجيا إياه رفع السوء وكشف الضر، لكن لا يجوز له أن يشكو ما به إلى الناس على سبيل الاعتراض والتذمر وعدم الرضا، فذلك مما يتنافى مع صحة

(١)مختصر تفسير ابن كثير، ٥٠٨/٢، ط ٧، ١٩٨٨ دار الصابوني للطباعة والنشر.
(٢)آل عمران الآية، ١٨٦.
(٣)انظر،الشكوى في شعر علي شوقي، د/ محمد علي سعد،ط ١، ٢٠٠٢، مطبعة التركي،ص ٩٨.
(٤)الأنبياء الآية ٨٣.

العقيدة وسلامتها، ولا مانع من الشكوى يبثها الإنسان في نفس راضية وقلب مطمئن، على سبيل التنفيس لا الاعتراض والضجر.

وقد سلكت شاعرتنا هذا المسلك وذاك المنهج في شكواها من المرض، فقد دعتها رقة مشاعرها ورهافة إحساسها وصدق وجدانها إلى إخراج هذه النهنهة الممتزجة بالألم الدفين في بدنها تنفيسا عن نفسها دون اعتراض أو ضجر، ففي قصيدتها "جراح " تشكو الشاعرة إلى الله سقمها ومرضها وما أصاب جسمها من الضر والأذى، وما اعترى وجهها من شحوب فتقول: (١)

إلهي لقد أوهى السقام تجلدي ... وقلبي مضني ساورته خطوب
وعفت حياة نغصتها كوارث ... ورمت ورود الموت وهو عصيب
يالهف نفسي ما أرى البين تاركي ... وخافق قلبي قد براه نحيب
فيا ويل جسمي كم من الضر والأذى ... يعاني ووجهي كم عراه شحوب
أبيت الليالي في التألم والضنى ... أراعي نجوم الليل وهي تغيب

وفي قصيدتها " ذكراك يا ماهر "تشكو –أيضا – من الأمراض التي نشبت في جسمها فراحت تقضي أيامها في التألم والضنى، ولم يعد الصبر يعرف إليها سبيلاً، ولا الطب يعلم لها شفاءً أو دواء، تقول الشاعرة: (٢)

حنانيك هل مثلي يعذبها الأسى ... ويصنع فيها مثلما فيَ يصنع
يمر نهاري في التألم والضنى ... فلا الصبر يلقاني ولا الطب ينفع
وأنشبت الأمراض فيَ شباكها ... وعيشي من ريب المنية أفظع
فضاقت بيَ الدنيا على رحب صدرها ... ولم يبق في قوس التصبر منزع

(١)ديوانها، ٦٢.
(٢)ديوانها، ١٦٧.

فهذه شكوى مغلفة بشيء من التضرع إلى الله تعالى، مما لحق بها من أمراض وأسقام جعلتها في حالة من الضيق والألم، حتى ضاقت بها الدنيا على اتساعها.

ولعل الشكوى من المرض هنا عبرت – بجانب الشكوى من المرض الجسماني الذي لحق بها– عن الحالة النفسية التي اعترتها من جراء ما وقع عليها من بلايا ومحن، كان لها الأثر الكبير على نفسها، بل كان ألمها النفسي أشد وطأة عليها من الألم والمرض الذي لحق بها، وهذا يعطي انطباعا بصدق مشاعرها، وصراحة إحساسها ووجدانها وصدق تجربتها، وهذا أهم ما يميز الشكوى، إذ لا يمكن أن يدعي عاقل المرض والألم دون أن يلحق به.

أما الشكوى من الشيب فقد جاءت عند الشاعرة في مقطوعة مكونة من ست أبيات، تشكو فيها من ظهور الشيب في رأسها، وهي مازالت في عنفوان حياتها وشبابها، وعلى الرغم من ذلك فهي لم تجزع منه، وإنما هاج آلامها وأحزانها، وَعَدَّتْهُ نفسها بعد ظهوره وقد ذوى صباها وشبابها، ولم تبلغ مرادها ولا مرامها بعد، واعتبرته نذير موتها ونهايتها، تقول الشاعرة مصورة هذا الوجدان وذاك الإحساس:[1]

لاحت طلائع للمشيب بهامتي	**فمحا سناها آية الإظلام**
قد زارني في العنفوان فليته	**قد حل في سود من الأيام**
أنا ما جزعت من المشيب وإنما	**قد هاج هذا الضيف من آلامي**
وذوى صباي وما بلغت مآربي	**فنأيت عن ورد الصبا بأوام(٢)**
صبح تبدى غب ليل فاحم	**أيقنت فيه باقتراب حمامي**
ناديت لما لاح أبيض ضاحكا	**أهلا وسهلا يا نذير ختامي**

١ – ديوانها،٥٥.

(٢)الأوام: حرارة العطش، والمعنى أنها ابتعدت عن الصبا والشباب وهي متحرقة مكرهة.

ومرحلة الشيب – كما هو معلوم – تأتي لكل إنسان إذا ما قدر له أن يصل إلى تلك المرحلة، وقد ذكرها الله – سبحانه وتعالى – في القرآن الكريم دلالة على عظيم قدرته وجليل حكمته في خلق الإنسان، وتعدد مراحل حياته، لينتفع بها، ويفيد منها، فقال سبحانه:" اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ" (١).

وهو كما تشير الآية الكريمة بشير الموت ونذيره، لذا نرى بعض الناس – ومنهم الشعراء – يضيقون به ذرعا، ويتألمون من ظهوره ومجيئه، إذ يعدونه نهاية حياتهم، أو بداية لهذه النهاية، ويشعرون أن الشباب قد انصرم من بين أيديهم قبل أن يقضوا لبانات الحياة، لذلك فقد أكثر الشعراء من بكاء الشباب والتنكر والشكوى من الشيب.

وشاعرتنا واحدة من أولئك الشعراء، لكنها لم تتنكر له، بل رحبت به، واستقبلته برضا ويقين، وَعدَّتْهُ نذير موتها ونهايتها في الحياة، لكن شكواها جاءت من أن الشيب جاءها ولم تكن بلغت مآربها. ولا يخفى ما في البيت الأول من تصوير رائع، حيث صورت الشيب بالضياء الذي جاء فمحا آية الإظلام إشارة إلى سواد شعرها.

****

وبعد فقد استطعنا أن نتملى أمارات التيار الوجداني عند الشاعرة " منيرة توفيق " ونقف على أهم تجاربها في هذا التيار، وقد تمثلت في ثلاثة محاور، وهي عاطفة الحب، والطبيعة، والشكوى، وقد استطاعت الشاعرة من خلال هذه المحاور أن تعبر عن وجدانها تعبيرا دقيقا، وأن ترسم صورة حية لهذا الوجدان، الذي امتاز في الغالب الكثير بالرقة والرهافة والصدق، مما كان سببا في براعة

(١)الروم الآية ٥٤.

أسلوبها ودقة تعبيرها، وجمال تصويرها، فجمعت بذلك بين صدق التجربة وجمال الأسلوب.

الخاتمة

وبعد هذه الجولة مع الشاعرة "منيرة توفيق " في تيارها الوجداني، يجدر بنا الوقوف لنسجل أهم النتائج التي توصل إليها البحث، وهي على النحو التالي:

أولاً: كشفت الدراسة أن شعر النساء في العصر الحديث سار جنبا إلى جنب مع شعر الشعراء من الرجال، وإن كان قليلا، وكانت الرائدة الأولى في الشعر النسوي الشاعرة " عائشة التيمورية ".

ثانيًا: توصلت الدراسة إلى أنه كان هناك في بداية العصر الحديث موضوعات شعرية لا تستطيع المرأة الشاعرة الاقتراب منها، أو التعبير عنها، كالتعبير عن العواطف والأحاسيس، والتجارب الوجدانية الخاصة، وذلك بسبب ما كان موجودا في المجتمع – آنذاك – من عادات وتقاليد تحجر على المرأة البوح بمثل هذه العواطف والأحاسيس.

ثالثاً: تبين من خلال الدراسة وجود بعض الشاعرات حاولن خوض تجربة التعبير عن وجدانهن وعواطفهن، لكن على استحياء، وبصورة غير كاملة، أمثال جميلة العلا يلي وروحية القليني وملك عبد العزيز، وفي المقابل – أيضا – وجد بعض الشاعرات استطعن – وإن كن من أصل غير مصري – أن تتحررن من ربقة تلك التقاليد، وتعبرن عن وجدانهن وعواطفهن في حرية وانطلاق، أمثال" فدوى طوقان" من فلسطين و"نازك الملائكة" في العراق، وهؤلاء جميعا كن نواة وبداية حقيقية لظهور التيار الوجداني العاطفي في الشعر النسائي.

رابعاً: ظهرت الشاعرة منيرة توفيق في وقت دعيت فيه المرأة إلى التحرر، وظهرت فيه الحركات النسائية على يد "هدى شعراوي"، فكان ذلك حافزاً ودافعاً لازدهار التيار الوجداني العاطفي عند شاعرتنا، فضلا عن كونها عضواً في حركة النهضة النسائية آنذاك، مما أعطاها قوة ودفعة لأن تعبر عن وجدانها في حرية وانطلاق دون مجافاةٍ لآداب العفاف والحشمة .

خامساً: توصلت الدراسة إلى الوقوف على الملامح الحياتية للشاعرة التي لم تنل حظها من الشهرة، ولا قدرها من الاهتمام، فاستطاع البحث أن يقف على نشأتها وظروف حياتها، والتي كان لها أثر كبير في تفجير الطاقة الشعرية، والكوامن الشعورية عندها.

سادساً: عند الحديث عن شاعريتها تبين أنها شاعرة قوية مجيدة، كثرت في ديوانها التجارب المختلفة السياسية والوطنية والاجتماعية والقومية، وكان على رأس هذه التجارب التيار الوجداني، والذي برز واضحاً في ديوانها مما كان سبباً في تناول هذا التيار بالدراسة عندها.

سابعاً: تبين من خلال البحث أن التيار الوجداني عند الشاعرة قام على محاور ثلاث:

الأول: عاطفة الحب، **والثاني:** الطبيعة، **والثالث:**الشكوى، وقد ظهر من تناول هذه المحاور أن الشاعرة عبرت عن تجارب حقيقية واقعية في حياتها، مما أكسبها صدقا في العاطفة، ورقة ورهافة في الإحساس، وإخلاصاً وحرية في التعبير عن وجدانها، شأن الشعراء الرومانسيين، فضلا عن هذا الأسلوب العذب الرقيق، المشتمل على أدوات التأثير على المتلقي.

ثامناً: من النتائج المهمة – أيضا – أن الشاعرة كانت أكثر إنتاجاً وأعلى إبداعاً في محوري عاطفة الحب والشكوى من محور الطبيعة، وتبين أن السبب في ذلك هو كثرة التجارب الحقيقية التي عايشتها وعانتها الشاعرة في هذين المحورين.

تاسعاً: كشف البحث عن أن الشاعرة أجادت إجادة بارعة في الشكوى بكل مضامينها، وبخاصة الشكوى من فراق الأحبة والأهل، مما جعلها تشبه نفسها بالخنساء في بكائها على أخيها " صخر " وقد أثبتت الدراسة أنها أكثر من الخنساء في هذا العنصر، حيث عانت من فقد والدها ووالدتها وأخيها وأختها وزوجيها، مما جعلها أكثر من الخنساء شكاية وتألما وحزنا.

عاشراً: أظهر البحث في تضاعيفه أن الشاعرة امتازت في التيار الوجداني بصدق العاطفة ورقة الإحساس وروعة الأسلوب وجماله.

حادي عشر: أن هذه الدراسة لم تتناول شعر الشاعرة كاملاً، وإنما هي خطوة على سبيل الوقوف على التجارب الشعرية الأخرى عندها وهي كثيرة، مثل الاتجاه الوطني والقومي، إلى آخر ما في ديوانها من تجارب تستحق الدراسة والاهتمام، لنقف من خلالها على أدواتها الفنية وشاعريتها، حيث إننا لم نغلق الباب أمام دراستها، إذ كانت دراستنا في إطار الاتجاه الوجداني.

والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

فهرس المراجع

١- الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة، د/ مصطفى سويف، ط ٤، دار المعارف.

٢ -التصوير الشعري، د/ عدنان حسين قاسم، ط ١، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع، ليبيا، ١٩٨٠ م.

٣ - دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، د/ أحمد درويش، مكتبة الزهراء، القاهرة ١٩٨٤م.

٤ – ديوان أنوار منيرة، للشاعرة منيرة توفيق، مطبعة المصري بالإسكندرية.

٥- الشعر المصري بعد شوقي، د/ محمد مندور، دار نهضة مصر.

٦- الشكوى في شعر علي شوقي، د/ محمد علي سعد، ط١، مطبعة التركي، طنطا، ٢٠٠٢ م.

٧- في الأدب والنقد الأدبي،د/ السعيد الورقي، دار المعرفة الجامعية، لإسكندرية،٢٠٠٠م.

٨- قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، د/ محمد زكي العشماوي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٠ م.

٩- مختار الصحاح، أبو بكر الرازي، ترتيب السيد محمود خاطر، ط ٨، ١٩٥٤ م.

١٠- مختصر ابن كثير، د / محمد علي الصابوني، ط ٧، دار الصابوني للطباعة والنشر، ١٩٨٨م.

١١- موازنة بين شعر المهجر الشمالي وجماعة أبوللو، د / بوجمعة بوبعيو، ط١، منشورات جامعة قار يونس، ١٩٩٥م.

١٢ – النقد الأدبي الحديث، د/ محمد غنيمي هلال، دار الثقافة – بيروت، ١٩٧٣.

دوريات:

١٣- مجلة أمواج سكندرية، عدد ٣٤ / ٢٠٠٨م.

فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

مقدمة ٢٨٤
المبحث الأول: من منيرة توفيق ؟..... ٢٨٨
استهلال..... ٢٨٨
المبحث الثاني: محاور الاتجاه الوجداني في شعر منيرة توفيق..... ٣٠٧
المحور الأول : عاطفة الحب..... ٣٠٨
المحور الثاني : الطبيعة..... ٣٢٤
المحور الثالث: الشكوى..... ٣٣١
أولا: الشكوى من فراق الأحبة..... ٣٣٣
ثانيا: الشكوى من صروف الدهر..... ٣٤٤
ثالثا: الشكوى من الهجر والصد..... ٣٤٧
رابعا: الشكوى من المرض و الشيب..... ٣٥٠
الخاتمة:..... ٣٥٥
فهرس المراجع:..... ٣٥٨
فهرس الموضوعات:..... ٣٥٩